Scopus Journal ESLS
No:422949206 ISSN:Uni:I.U.U/00190
UNV CDAC
No: 402165492

"دور التربية الإسلامية في تحقيق طفولة آمنة"

د/ عمر محمد يوسف علاونة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي لا رب قبله ولا رب بعده، وهو رب كل شئ ومليكه، الذي علم بالقلم، وعلم الإنسان مالم يعلم، ولا إله في هذا الوجود إلا هو سبحانه الحكيم العليم، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد أشرف الخلق والمرسلين الذي قدم للبشرية منهجا، ومنهاجا كاملا، ومتكاملا في التربية الفاضلة، بالتحلية والتخلية، فكان نعم المربي، ونعم المعلم، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . وبعد ،،،،،

بداية: إن موضوع العناية بالطفولة موضوع كبير، وله تفاصيل عديدة، ويندرج تحته العديد من المحاور، والموضوعات الهامة؛ ذلك نظرا لحساسية موضوع الطفولة ودقته، كيف لا وتربية الناشئة والقيام على تربية الأطفال أمر شاق ومضني، ومن يتمرس فيها بتفهم وروية يجد أنها غاية المتعة واللذة ، لأننا نتعامل مع كائن لعوب ومسل وذكي، ولذا فإنني وجدت في نفسي الحماسة للبحث في غمار هذا الموضوع، وأن أكتب في دور التربية الإسلامية في تحقيق طفولة آمنة، خاصة وأننا أصبحنا نعيش في زمن ترويع الطفولة ، وإرهاب الطفولة ، وضياع الطفولة، والقسوة على الطفولة ، فأصبح أطفالنا يعانون من مشكلات جمة : نفسية، وعاطفية، وسلوكية ، ومعرفية، واجتماعية، وغيرها.. ، وذلك ؛ إما لجهلنا بطريقة التعامل مع الطفل، أو لعدم إدراكنا ؛ من هو هذا الطفل الذي بين أيدينا، أو ما هي القيمة العالية لهذا الطفل؟ كمن بيده جوهرة نفيسة وهو لا يدرك أن الذي بيده هو جوهرة بالفعل، تجده يلعب ويلهو بها، ثم يرميها في النهاية بعد أن يملها، أوتراه يهمل بها، وللأسف أن هذا هو واقع تعاملنا مع أطفالنا .

إن التربية الإسلامية كانت ولا تزال سباقة في تعليم البشرية كيف تتعامل مع مرحلة الطفولة بشكل واقعي وعملي ، وليس برفع الشعارات وحسب ، لأن الطفل لم يعد بحاجة كي تتذكره الإنسانية في يوم واحد بالسنة هو اليوم العالمي للطفل ، ثم تأكل حقوقه وتهضمه إياها طيلة أيام السنة.

إن الفلسفة التربوية الناجحة هي تلك التي تهدف إلى الإجابة على الأسئلة الفلسفية التالية : من نربي؟ أي إنسان نريد أن نربي ؟، أو أي إنسان نريد أن نبني ؟ فهذا التساؤل يتناول الطبيعة الإنسانية بكل مكوناتها، وهي تعني كافة مراحل تخلق الإنسان من طفولته حتى مماته، وتعني تناول الشخصية الإنسانية بكل جوانبها. لماذا نربي؟ أي ما هي الأهداف أو الغايات التي ننشدها جراء هذه التربية والتي نود تحقيقها على المدى القريب أو البعيد؟. كيف نربي؟ أي ما هي الطرق المتبعة في التربية وماهي الأنشطة والوسائل المساعدة لهذه الطرق؟. وما هو الإطار الذي فيه نربي ؟ أي ما هو الفكر والفلسفة المتبناة وما هو المنهج المتبع الذي يحكم هذه العملية التربوية برمتها؟ .

لذا فالتربية الإسلامية لها ما يميزها من أهداف وغايات عليا، ولها طرق مثلى ، وفلسفة واضحة المعالم لا لبس فيها ولا غموض، وسيأتي التفصيل فيها لاحقا .

فها هي الآيات القرآنية ما انفكت عن تذكير الإنسان بالوالد والولد ، حتى أن الله تعالى يقسم بهما في قوله سبحانه:﴿**وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ**﴾[سورة البلد:3] وهذا لم يأت من فراغ ، إذ أن العلاقة بين الوالد والولد تبادلية مشتركة ؛

فكما تزرع تحصد، وإذا أراد الآباء أن يرتاحوا عند الكبر عليهم أن يحسنوا إلى أولادهم منذ الصغر ، ثم يوصينا الله تعالى في أولادنا حيث يقول تعالى : ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ**﴾[سورة النساء :11] فماذا نريد أكثر من هذه الوصية الإلهية بالأولاد ؟ ، ولماذا يوصينا الله تعالى بهم ؟ ، فالطفل في منظور التربية الإسلامية كائن اجتماعي ومجتمعي له حقوق وعليه واجبات تجاه خالقه ، ودينه، ووالديه ، ومجتمعه، وأمته، وبيئته، ووطنه، وهذا كله لا يتأتى إلا بالعلم والتعلم ، ذلك أن تغيير السلوك في الطفل نحو الأفضل ونحو الكمال المنشود لا يمكن أن نحققه إلا بالتربية الإسلامية عقيدة، وعبادة، وتعاملا، وسلوكا ، وممارسة، وبإكسابه الخلق القويم .

قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾[سورة التحريم: 6]

فالوقاية للنفس ونعني بها الوالدين أولا، وأهليكم تعني الزوجة ومن نزل منها والذرية أي الإبن أو الطفل ثانيا، والوقاية هنا ليست فقط من النار ؛ بل من كل ما هو ضار وفاسد ومن كل شيء يحرف مسار الفطرة ويجتالها عن جادة الحق والخير والصواب : أي من الانفتاح المعرفي اللامحدود، أو الفوضى التكنولوجية اللاأخلاقية، أو عالم (الإنترنت) المربي العصري الآن، أو ما يسمى (بالشبكة العنكبوتية) العالمية الأم اليوم، أو التلفاز الأب اليوم ، أو الصديق المنحرف ، وغير ذلك ..هذا يعني أننا معاشر الآباء والأمهات بحاجة اليوم إلى احترافية عالية حتى نكون قادرين على تربية أطفالنا، وحمايتهم من هذه المنزلقات الخطيرة ، فيأخذوا ما هو نافع ويدعوا ما هو ضار، وبالأخص ، ونحن في زمن الفضاءات المفتوحة والمعارف المتناثرة، حيث كثرت العوامل التي تؤثر في تربية أطفالنا في أهم وأخطر مراحل أعمارهم وهي السن المبكرة من الوعي والإدراك، فما السبيل ؟ وأين النجاة ؟ وكيف نحصن أطفالنا الذين هم ثروة المستقبل لهذه الأمة من كل هذه العواصف في وقت لا نملك فيه إلا أن نندمج في هذه القرية الصغيرة ؟

أيها الأب ، وأيتها الأم إن إعطاؤكما الولد والذرية هذا يعني أنكما أمام مسؤوليات عظيمة ، ومهمات جسام، بالأخص ونحن نعيش في ظل العولمة الثقافية الشرسة ، والمتسارعة بشكل جنوني ، ومن غير ضوابط أخلاقية.

قال تعالى : ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [سورة الأنعام: 84] .

فمنحة ونعمة الولد والذرية حسب نص الآية تحتاج منا أن نقابلها بالإحسان لا بالعقوق والنكران، وبالشكر ان لا الكفران، قال تعالى :﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾[سورة ابراهيم:34]، والإحسان للطفل يكون قبل ولادته بأن نحسن اختيار أم له ، خاصة وأننا في زمن أصبحت فيه الأم المربية عملة نادرة ، وأن نحسن إلى الطفل أثناء حمل أمه به فلا نجعلها تعيش اضطرابات نفسية وعصبية مهولة ، وأن نحسن إلى الطفل بعد ولادته باتباع منهج و وصايا الرسول . صلى الله عليه وسلم . في تربيته، وسنفرد لهذا الكلام كله مساحة أكبر في الصفحات القادمة .

إذا كان هذا الطفل هو التركة الحقيقية التي يخلفها الوالد بعد وفاته ، فالواجب أن نربيه تربية فاضلة ، وننشئه تنشئة صالحة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول . صلى الله عليه و سلم . قال: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به أو ولد صالح يدعو له"[1]

قال جلَّ وعل : ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**﴾[سورة طه: 132].

(1) أخرجه مسلم، كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم :1631.

وهذه قصة أسوقها من حياة الصالحين عسى أن نتعلم منها كيف نعزز في أطفالنا النجابة، والفراسة، وكيف نحترم الطفولة في أطفالنا من غير كبت وقهر وضجر وتعقيد : " دخل وفد على عبد الملك بن مروان، وكان معهم طفل صغير، فغضب عبد الملك من دخول الطفل مع الوفد، وعد ذلك إهانة له ، فوقف الطفل قائلا: أيها الأمير، إن دخولي عليك لم ينقص قدرك ، ولكنه شرف لي، أصابتنا سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة دقت العظم، ومعكم فضول أموال، فإن كانت لنا فعلام تحبسونها عنا ؟ وإن كانت لله فأعطوها لعباده، وإن كانت لكم فتصدقوا بها علينا . فقال عبد الملك بن مروان: والله ما ترك لنا هذا الطفل من عذر، أو ما ترك لنا في واحدة عذرا"[(2)]

لننظر كيف كان الأطفال بعقول الكبار، وحكمة الشيوخ، وفصاحة الشعراء، وفطنة العلماء. وتأتي أهمية البحث في هذا الموضوع نظرا لأن الأطفال هم أمل الغد الآتي، وإذا ما أرادت هذه الأمة أن تتطور وتتقدم علميا وتقنيا وثقافيا واجتماعيا وسياسيا وأخلاقيا ودينيا، فعلى الفرد والمجتمع والأسرة والمؤسسات والأنظمة أن تولي الطفولة الاهتمام الأكبر، وأن تعنى بالتنشئة الحسنة لهم الصحية والبدنية والنفسية والروحية والعقلية والقيمية، وأن توفر لهم البيئة التعليمية . التعلمية، وبكافة الوسائل والطرق الممكنة والأساليب المتنوعة والخبرات المختلفة .

فكيف عملت الشريعة الإسلامية على حماية الطفولة، وكيف ضمنت لها أمانها ؟، ثم للنظر إلى واقعنا، حيث يتبادر في الذهن الأسئلة والأفكار التالية والتي تدلل على الطفولة الحائرة والبائسة في عالمنا العربي:

كيف نتعامل مع أطفالنا ؟،وهل نحب أطفالنا بأقدار متساوية؟، وهل نكسب أطفالنا قدرا كافيا من الحنان؟، وهل تعلم أيها الأب أيتها الأم أن شخصية طفلك تتشكل منذ العام الثاني أو الثالث من العمر؟، ثم ، ماذا قدمنا لأطفالنا؟

هل تفوقوا علينا أم تفوقنا عليهم؟، وماذا تفعل عندما يخطئ ابنك؟ هل تعاقبه على قدر الذنب ، أم أكبر منه، أم لا عقاب البتة؟، ولماذا تفقد الصبر بسرعة مع أحد أبنائك؟، وما طبيعة الأجواء التي يعيش فيها أطفالنا؟، وهل تصرفاتنا مع الأطفال تقودهم إلى التوحش والوحشية، أم إلى الطهر والبراءة والنقاء؟، وهل أصبح طفلنا ديكتاتورا صغيرا يسرق من أمه الوقت فيحرمها من أن تتمتع بصحبة الكبار؟، ثم، كم مرة نجلس مع أطفالنا؟، وكم ساعة يجلس أطفالنا أمام أفلام الجريمة والغرام وأمام الإنترنت والتلفاز؟، وأين الرقابة من الوالدين؟ إذا كان أطفالنا هم بهجة الحياة وزينتها، فلماذا لا نشاركهم بهجة الحياة وزينتها؟، وهل باتت الأم الشرقية أو العربية تحرص على أن تكون نسخة طبق الأصل عن المرأة الغربية مجرد إمرأة أو أما بالإسم؟، ثم، كم طفلا قد ألقينا بهم في دور الحضانة، وأحضان الملاجئ ، وأحضان المربيات الأخريات ، وقذفنا بهم إلى الشوارع والأزقة حيث براثن الرذيلة والإنحراف والتسول؟، فإلى متى سنبقى نتعامل مع أطفالنا على أنهم دمى متحركة، حتى إذا كبروا ووعوا جفوناهم وقسونا عليهم؟! وإلى متى نستبد بأطفالنا بسوء معاملتنا لهم، وبعدم قدرتنا على تصحيح أخطائهم وإحسان توجيههم؟!، وكيف نعالج النضج العاطفي والبلوغ الجنسي عند أطفالنا؟، ومتى نمسك العصا من الوسط دون إفراط أو تفريط؟، ولماذا لا نخلق في أطفالنا خيال المخترع والمبدع والمفكر والمنتج؟، وهل كل الألعاب محرمة على أطفالنا؟، فليس العيب أن نشتري لأبنائنا لعبة ما، ولكن العيب أن لا نعلم طفلنا جدوى تلك اللعبة أو عدم جدواها، فنحن لا نريد طفلا مائعا بنفس الوقت، فلا مانع من أن نعلم طفلنا اللعب بالطائرة أو الدبابة ، وكيف تصنع هذه الآليات، وليس في هذا دعوة لتقديس أخلاق القتل والجريمة، فالدفاع عن الوطن فريضة مقدسة لا يمكن تجاهلها، والشعور بالإنتماء للوطن يحتاج إلى تربية كبيرة من غير عدوانية، ولا ظلم للآخرين، وهذا حال أي أمة تريد أن يكون لها مكان تحت الشمس.

---

(2) المنذري، عبد العظيم (1968) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف (أربعة أجزاء)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (باب الرحمة بالصغير وتوقير الكبير).

ومن ثم ، لماذا لا يكون الحزم مع أطفالنا في إطار من الحب؟، فالتربية الناجحة لا يمكن أن تتحقق في أجواء من الكراهية والتهديد والوعيد.

أخيرا وليس آخرا: أوليس رائعا أننا ونحن نربي أطفالنا نربي أنفسنا ؟

من هنا سأتناول في هذا البحث العديد من المحاور والتي سأقدم من خلالها إجابات شافية على بعض تلك الأسئلة والتعليق على تلك الأفكار، وذلك على النحو الآتي :

أولا . الفصل الأول

. تعريف التربية في اللغة

. تعريف التربية في الإصطلاح

. تعريف الإسلام لغة واصطلاحا

. مصطلح التربية الإسلامية

ثانيا. الفصل الثاني :

. تعريف لمعنى الطفل والطفولة.

. مواضع ورود كلمة طفل في القرآن .

. حقوق الطفل في الإسلام.

. صور اهتمام الإسلام بالطفولة.

. نماذج مشرقة في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم . مع الأطفال: (سيرة النبي العدنان في تربية الولدان).

راجيا أن يحوز هذا الجهد على تقديركم، فإن أصبت فمن الله، وإن قصرت فمن نفسي والشيطان، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم.

الفصل الأول:

أولا: تعريف التربية في اللغة :

تشير المعاجم والقواميس اللغوية إلى أن لكلمة تربية أصولا لغوية ثلاثة[3] وهي :

1.ربا يربو بمعنى زاد ونما ، منها قوله تعالى : ﴿ **وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ** ﴾[سورة الروم: 39]،وقوله تعالى :﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ** ﴾[سورة البقرة:276]و قوله تعالى:﴿ **وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ** ﴾ [سورة الحج:5].

2.ربي يربى: نشأ وترعرع ، وعليه قول ابن الأعرابي:

ومن يك سائلا عني فإني بمكة منزلي وبها ربيت

3. رب يرب أي أصلحه ، وساسه ، وتولى أمره ، وقام على رعايته ، وجوده ، وطيبه، منها قوله تعالى على لسان فرعون لموسى عليه السلام: ﴿ **أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا** ﴾ [سورة الشعراء: 18]

ومنها قولنا العالم الرباني ، أي الراسخ في العلم

من ذلك تكون معاني التربية في اللغة هي : الزيادة ، والنمو ،والنشوء ، والترعرع، والإصلاح، وتولي الأمر، والسياسة ، وتولي الأمر ، والقيام على الشيء ، والمحافظة ، والتغذية[4]، وتستعمل مجازا بمعنى التهذيب، وعلو المنزلة ، فيقال ربى فلان في رباوة قومه أي في أشرافهم[5].

فالتربية بهذا تكون عملية تنمية، وتوعية، وتمرين، وتثقيف، وتدريب، وإصلاح، وسياسة، وتعليم وتعلم، وتوجيه ، وتدرج في البلوغ نحو الكمال شيئا فشيئا، وحالا فحالا، وهي عملية بناء للشخصية الإنسانية بكل جوانبها[6] .

وقد أشار الباني[7] إلى العناصر التي تتكون منها التربية بناء على هذه التعاريف اللغوية، وهي:

1. المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها.
2. تنمية مواهبه واستعداداته كلها.
3. توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب نحو كمالها وصلاحها اللائق بها.
4. التدرج في هذه العملية، وهو ما يشير إليه الأصفهاني بقوله: "حالا فحالا" والبيضاوي بقوله... " شيئا فشيئا" .

ثانيا : تعريف التربية في الإصطلاح :

والتربية كمصطلح تأخذ من هذه المعاني كلها، فهي: (عملية تحقق النمو المتزن لجميع استعدادات الفرد الجسمية ، والنفسية ، والعقلية وتتدرج معه حتى يصل إلى كماله، فهي إذاً تنمي مواهبه ، وتنشئه على ما يصل به إلى الصلاح في مستقبل أمره).(الحمدان، وصقر(8)

والتربية هي: الحياة، وهي عملية تكيف بين الفرد وبيئته ، وهي مجموعة من العمليات التي يستطيع بها المجتمع أن ينقل معارفه، وأهدافه المكتسبة، ليحافظ على بقائه. (9)

---

(3) عبد الرحمن الباني ، (1983) ، مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام، ص12.

(4) جمال الدين محمد ، ابن منظور (1997) ، لسان العرب ، ط6، ص13 .

(5) جار الله محمود، الزمخشري (1960) ، أساس البلاغة، تحقيق عبدالرحيم محمود، ص153.

(6) مقداد يالجن، (1986) ، جوانب التربية الإسلامية الأساسية ، ص17 .

(7) عبد الرحمن الباني، (1983) ، مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام، ص14.

(8). الحمدان، وفاء، صقر، وسميرة، (1995)، مذكرة طرق التدريس، منشورات كلية التربية بجدة، قسم الدراسات الإسلامية، ص 11 .

(9) ناصر أحمد الخوالدة(2001) طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليبها وتطبيقاتها، ص 24.

ثالثا : تعريف الإسلام لغة واصطلاحا :

لغة: من أسلم ، يسلم ، إسلاما ، بمعنى استسلم وخضع.(10) قال تعالى: ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [سورة الزمر:83]، وقال جل وعلا:﴿**وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا**﴾ [سورة آل عمران:83]،وقال جل وعلا: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [سورة آل عمران:85]، وقال جل وعلا:﴿**مَاكَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّاوَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا**﴾[سورة آل عمران:67]، وقال جل وعلا: ﴿ **هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ** ﴾ [سورة الحج:78]. فالمقصود أنَّ لفظ الإسلام هنا بمعنى الإستسلام ، والإنقياد، والخضوع ، والطاعة ، والإذعان لله رب العالمين .

الإسلام اصطلاحا هو: الإستسلام لله بالتوحيد ، والإنقياد له بالطاعة والخلو من الشرك(11) .

والذي نختاره هوالتعريف الذي أشار إليه الخوالدة(12) بأن الإسلام هو" كل ما أنزله الله تعالى على رسوله _ صلى الله عليه وسلم _ لتنظيم علاقة العباد بربهم ، وعلاقاتهم بعضهم ببعض ، وبمن حولهم من الأشياء والمخلوقات".

ووصف التربية بالإسلامية يميزها عن أنواع التربية الأخرى من غربية أو شرقية وغيرها، فهي تنشئة على مبادئ الإسلام وغاياته ومنهجه الرباني في كل أمور الحياة .

وتدل الكلمتان معاً على معنى اصطلاحي دارج في المؤسسات التعليمية هو " مقررات العلوم الدينية الشرعية " كالتوحيد والفقه والحديث والعقيدة والقرآن والسيرة النبوية..الخ. وأنا أرى أن ربط مفهوم التربية الإسلامية بمقررات التربية الإسلامية وحسب يجعل من مفهوم التربية الإسلامية قاصرا ، فالتربية الإسلامية تعني تقديم هذا الدين للمتربين، وتبسيط معارفه وشرح تراثه العظيم، وترجمته ترجمة سلوكية حية تظهر عظمته وتبعث على الاعتزاز به فهي قالب لتقديم هذا الدين العظيم الذي جاء يتمم دعوات الأنبياء، ويختم الرسالات، ويربي البشرية على التوحيد الخالص ويدعو الناس إلى عمارة الأرض، وحماية البيئة ونصرة الطفل وإنصافه بكل حقوقه، فهو دين يدعو الناس لتأمل الكون والتفكر في نظامه وسننه وإعمال العقل فيما حولهم لتحصيل خيري الدنيا والآخرة.

والتربية الإسلامية المستمدة من مصادرها الأصيلة؛ كتاب الله وسنة رسول الله . صلى الله عليه وسلم . تحرص على أن تربي الفرد تربية إيمانية فريدة ، وتربي المجتمع بوضع الأطر العامة والمفصلة للنواحي الاجتماعية والسياسية والأخلاقية .

رابعا : مصطلح التربية الإسلامية :بعد هذا التطواف في معاني التربية اللغوية والإصطلاحية نحتار التعريف التالي للتربية الإسلامية اصطلاحا فهي :"تنمية جميع جوانب الشخصية الإسلامية الفكرية، والعاطفية، والجسدية، والاجتماعية، وتنظيم سلوكها على أساس مبادئ الدين الإسلامي وتعاليمه، بغرض تحقيق أهداف الإسلام في حياة الفرد والجماعة في كافة مجالات الحياة ".(13).

النتائج لهذه التعريفات حسب رؤية الباحث:

يمكننا بناء على ما تقدم أن نستنتج الحقائق التربوية التالية :

---

(10) ابراهيم أنيس وزملاؤه (1972) ، المعجم الوسيط (جزءان) ، ط2 .

(11) مرجع سابق ، ص12.

(12) ناصر أحمد الخوالدة ، طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليبها وتطبيقاتها (2001) ص 30.

(13) ابراهيم، صبحي طه (1986) ، التربية الإسلامية وأساليب تدريسها، ط2، ص9 .

1.أن التربية عملية موجهة نحو الإنسان وهي عملية نمو متكامل لجميع أبعاد الشخصية الإنسانية: الروح، و الجسد ، والعقل ، والقلب ، والعاطفة، والوجدان، والنفس، والعلاقات الاجتماعية. ومنها نستدل بالخطابات الإلهية المتكررة في القرآن الكريم للإنسان: (يا أيها الإنسان)، (يا أيها الناس)، (يعقلون، يعلمون، يذكرون، يبصرون ، يسمعون ...)

2. أن التربية عملية معقدة نظرا لتعدد أهدافها. قال تعالى : ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خليفة قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [سورة البقرة: 30].

3. أنها عملية مخططة وهادفة أي لها غاية، ولها أهداف بينة وطرق واضحة. قال تعالى:﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [سورة الذاريات :56].

4. أن عملية التربية لا تتم في فراغ إذ لا بد لها من أوساط تتم فيها من معلم ، ومتعلم ، وبيئة طبيعية ، واجتماعية ، ونعني بها: الوطن الدولة، الأسرة، المدرسة، المجتمع، الشارع ، الأصدقاء والأقران.

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : سمعت رسول الله " صلي الله عليه وسلم " يقول : كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته : الإمام راعٍ ومسئول عن رعيته ، والرجل راعٍ في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راعٍ في مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راعٍ ومسئول عن رعيته " (14)

5. أنها عملية مستمرة ترافق الإنسان طوال حياته لا تنتهي إلا بمماته،

قال تعالى : ﴿ **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾ [سورة طه: 114].

6. أنها عملية تفاعلية لا تلقينية، فهي أخذ وعطاء وهي ترفض السلبية والانغلاق. روي عن علي رضي الله عنه أن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال : " أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حُب نبيكم ، وحب أهل بيته ، وقراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه " [(15)]

7. أنها عملية متدرجة: لا تأتي دفعة واحدة، منها قول النبي: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع ". [(16)]

8. أنها عملية منظمة لا عشوائية تحتاج إلى تخطيط. منها قول النبي عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن :بم تقضي يا معاذ ؟ قال: بكتاب الله ، قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة نبيه، قال: فإن لم تجد ؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو. فضرب النبي . صلى الله عليه وسلم . صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله إلى ما يرضي رسول الله . [(17)]

9. إن التربية الإسلامية هي التربية الآمنة، والوحيدة التي بإمكانها أن تراعي حقوق الطفل بكافة جوانب شخصيته، وأن تسهم في بناء الطفولة الراشدة والآمنة من خلال خصائصها التي تميزها عن غيرها من المدارس والفلسفات التربوية الأخرى. قال تعالى:﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ **[سورة النور: 55].**

---

(14) صحيح البخاري ، الأدب المفرد (94) حديث رقم 7138

(15) أورده السيوطي في الجامع الصغير، ج1 ، باب الألف، ص 25

(16) سنن أبي داود: حديث حسن صحيح برقم 495، كتاب الصلاة باب متى يؤمر الغلام بالصلاة

(17) سنن أبي داود: حديث صحيح برقم 3592 ، كتاب الأقضية ، باب: اجتهاد الرأي في القضاء.

مما تقدم نجد أن التربية الإسلامية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتعليم من ذلك قول أحد التربويين : " أعطني معلما أعطيك مجتمعا ، أعطني معلما أعطيك أمة " . وما جاء في المثل الصيني الشهير : " أذا أطعمت ابنك سمكا فإنه يأكل مرة ، ولكن إذا علمته كيف يصطاد السمك ؛ فإنه يأكل طول حياته ".

فالعلاقة بين التربية والإسلام علاقة توأمية ، فالتربية الإسلامية فريضة إسلامية ، وتطبيق الشريعة الإسلامية في أرض الواقع لا يكون إلا بتربية النفس والمجتمع على الإيمان بالله تعالى ، وبتهذيب الفرد كي يكون قادرا على حمل الأمانة . قال تعالى : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** ﴾[سورة الأحزاب:72] ، فالإسلام أمانة بكل تعاليمه ، وكذلك الطفل بين يدي أمه ، وأبيه ، والمجتمع أمانة ، فكيف نتعامل مع هذه الأمانة ؟ ، وكيف نؤديها حقها ؟

وقد أشار الإمام أبو حامد الغزالي إلى هذا المعنى بقوله: «الطفل أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش ، ومائل إلى كل ما يمال به إليه ؛ فإن عود الخير وعلمه، نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة هو وأبواه وكل معلم له ومؤدب». [(18)] فهي علاقة سبب بنتيجة فتطبيق الإسلام كذلك يحقق التربية ، وبه يكون الإنسان خير أنموذج للبشرية ؛ لذا فالتربية الإسلامية ضرورة إنسانية لتتخلص مما تعانيه من ويلات وظلم ضد الطفولة وضد الكرامة البشرية ،وبما أن التربية الإسلامية تتميز بكونها: " ربانية المصدر والغاية والهدف وأنها عالمية وإنسانية ، وشاملة ومتكاملة ، ومتوازنة ، وواقعية ، ومستمرة ومتدرجة ، وعلمية وعملية ، وأخلاقية ، و محافظة ومتجددة." [(19)] ، فهي الحصانة الوحيدة لأطفالنا أجيال اليوم رجال الغد وصناع المستقبل من كل ما هو دخيل على هذه الأمة من تيارات وافدة وأفكار هدامة وغيرها ؛ كي يكونوا كما ترجو أمتهم منهم وتأمل ، فالتربية الإسلامية شريان الحياة لهذه الأمة ، وتفعيلها في حياة الفرد والمجتمعات هو الضمانة الوحيدة لبقائها ،وهي الركن المتين الذي به تحافظ الأمة على هويتها الثقافية وتراثها الكبير، وهي السبيل لعودتها إلى سدة العالم بما تملكه من مقومات حضارية وقيم تربوية فريدة وجعلها خير أمة أخرجت للناس كما أراد لها رب العزة جل في علاه أن تكون .

قال الشاعر : إن الغصون إذا قومتها اعتدلت وليس ينفعك التقويم للحطب

(18) إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي (2005) /1468/8.

(19) طرائق تدريس التربية الإسلامية، د. صالح ذياب هندي (2009) ص 32. 35.

الفصل الثاني :

أولا. تعريف لمعنى الطفل والطفولة:

الطِّفْل الصغير من كل شيء بَيِّن الطَّفَل والطَّفالة والطُّفولة والطُّفولية، والصَّبيُّ يُدْعى طِفْلاً حين يسقط من بطن أُمه إلى أَن يَحتلم، والطِّفْل المولود، وولَدُ كلِّ وحْشِيَّة أَيضاً طِفْلٌ، وأَطْفَلَتِ المرأَةُ، والظَّبْيَة والنَّعَم إذا كان معها ولدٌ طِفْلٌ. الطاء والفاء واللام أصل صحيحٌ مطّرد، ثم يقاس عليه، والأصل المولود الصغير؛ يقال هو طِفْلٌ، والأنثى طِفلة. وأصلها عربي .وجاء في القاموس المحيط أن كلمة طفل تعني: العشب الصغير الذي يطل وهو طفل النبات أصابه التراب فأفسده ، ولم يطل. وكلمة طفل مشتقة من طفولة وطفالة ، أي نعم ورق وصار طفلا. [20]

ثانيا . مواضع ورود كلمة طفل في القرآن :

وردت كلمة الطفل أو الأطفال في القرآن في أربعة مواضع فقط وهي: في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا** ﴾[سورة الحج :4]،. وفي قوله تعالى : ﴿ **أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ**﴾[سورة النور: 31] وفي قوله تعالى:﴿**وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾[سورة النور: 59] وفي قوله تعالى : ﴿ **هَوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾[سورة غافر: 67].

النتائج التي توصل إليها الباحث بعد دراسة هذه التعريفات لكلمة طفل و بعد التأمل بالآيات القرآنية التي وردت فيها ؛ نشير إلى الآتي :

1. الطفل هو كل مولود من ذكر أو أنثى إلى وقت البلوغ.

2. الطفل يحتاج إلى رعاية وعناية وتدريب وتمرين وتعليم لتنمية مواهبه وقدراته ؛ فكما أن تعليم الطفل القدرة على المشي والقدرة على النطق يحتاج إلى مران وممارسة وخطوات عملية ، كذلك الحال في إكسابه المعارف وفي جعله قادرا على التفكير والتمييز بين الصحيح والسقيم، والغث والسمين يتطلب أيضا كل هذه العمليات.

3. الحفاظ على فطرة الطفل من الإنحراف أو التأثر بالعوامل الخارجية بالتوعية والتثقيف ؛ قال تعالى :﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[سورة الروم:30]، وفي الحديث الصحيح حديث عياض بن حمار: عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى قال": إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين فحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا "[21] ،وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه " [22]. فلم يقل نبينا المعلم والمربي يسلمانه لأن الإسلام دين الفطرة، والأصل بالمولود أنه يأتي نقي الفطرة على التوحيد الخالص لله رب العالمين.

---

(20) الفيروزأبادي ، مجد الدين (1952) القاموس المحيط، ص 83 ، ط2، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

(21) صحيح مسلم، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، ج 10 ص 314 ، 4/ 2197

(22) صحيح مسلم، كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، برقم 2047، 4/2048 .

وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم أن قال سبحانه و تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**﴾[سورة الأعراف:172]

والإشارة التربوية الثانية التي نستنبطها من هذا الحديث أنه ليس من الضرورة بمكان كي ينشأ الطفل يهوديا أو نصرانيا أن يكون أبواه يهوديين أو نصرانيين ؛ بل أن الطفل قد ينشأ يهوديا أو نصرانيا تبعا لأخلاق والديه المسلمين هوية المتهودين أو المتنصرين بأخلاقياتهما وسلوكياتهما فيقلدهما الإبن بما يراه ويسمعه منهما ، فالطفل يتأثر كثيرا بما يجري حوله من ممارسات صائبة كانت أم خاطئة ، فهو جهاز استقبال بارع وذكي في تخزين المعلومات وترجمة الوقائع والطفل ليس كائنا غبيا كما قد يتخيل البعض.

لذا عد الفيروز أبادي أن الطفولة أولى مراحل الحياة ، فهي كالعشب أول ما يخرج من الأرض إذا أصابه التراب أفسده ، وأنها بهذه المرحلة بحاجة إلى عناية ما بعدها عناية ، يقول تعالى : ﴿ **وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا** ﴾[سورة نوح: 17] ،ويقول تعالى:﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾[سورة النحل: 78] ؛علما بأن هذه المرحلة هي مرحلة الضعف كما أسماها القرآن الكريم ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا** ﴾[سورة النساء: 28]، ومنها قوله تعالى: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ**﴾[سورة الروم:54] ويقول عز من قائل: ﴿ **هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ** ﴾[سورة النجم:32]

ولهذا كله أوصى الله تعالى عباده في أولادهم، يقول تعالى:﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ**﴾[سورة النساء :11]

4. إذا تأملنا الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمة طفل نجد أنها في سورة الحج ، والحج كما نعلم فريضة إسلامية ومن أركان هذا الدين ، وهذا يدلل على ضرورة أن نعلم أطفالنا العبادات الدينية وأن نجعلهم يتعرفون على الأماكن والبقاع المقدسة كي يرتبطوا بتراث أمتهم وتاريخها وسيرة نبيها وسنته . صلى الله عليه وسلم . وأن يتمثل أبناؤنا الآثار التربوية للحج وسائر العبادات في سلوكهم.

5. جاءت كلمة طفل في هذه الآية في معرض الحديث عن منكري البعث والحساب وذكرت هؤلاء بمراحل خلقهم وهي تمثل إعجازا علميا فما كان في زمن النبي كاميرات لتصور مراحل التخلق هذه ، وفيها إشارة عقائدية وهي أن الله تعالى قد كتب رزقك ورزق ولدك مذ كان نطفة،

كما جاء في الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُوْدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوْقُ": إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِيْ بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِيْنَ يَوْماً نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُوْنُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُوْنُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ المَلَكُ فَيَنفُخُ فِيْهِ الرُّوْحَ، وَيَؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيْدٌ. "[23]

6. وردت كلمة طفل كذلك في سورة غافر في معرض الحديث عن أطوار خلق الإنسان ، وهذا يجعلنا نستنبط بأن التربية عملية متدرجة بمراحل تماما كخلق الله تعالى للإنسان على مراحل مرتبة متتالية ، وهذا يعني أن لا نستعجل النتائج في استجابات أطفالنا وأن العمليات التربوية تحتاج إلى تأن كبير وضبط للأعصاب خاصة إذا علمنا أن

---

(23) . أخرجه البخاري– كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، (3208)، وأخرجه مسلم– كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، (2643).

العلم الحديث أثبت أن كل مرحلة من مراحل خلق الإنسان تمر نفسها بأطوار عديدة تصدقه الآية القرآنية في قوله تعالى:﴿ **مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًاوَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا** ﴾[سورة نوح : 13: 14] ، ويذكر الله تعالى الإنسان بأصل خلقه كي لا يطغى و يتكبر ولا يعيث في الأرض فسادا .

7 . وفي سورة النور يأتي الحديث عن الآداب التي يجب أن يتربى عليها الطفل، وهي آداب الإستئذان على الآخرين، وإن كانوا أما أو أبا، وكذلك في أدب عدم النظر إلى عورات النساء، وفي ذلك إشارة نفسية قالها علماء النفس المحدثون بأن أول مشهد تقع عليه عيون أبنائنا يبقى في ذاكرتهم زمنا طويلا، وقد يلعب دورا كبيرا في تكوين شخصية الطفل ؛ فلنحرص بأن لا تقع عيون أبنائنا على مشهد غرامي أو صور دموية ؛ فالأمر جد خطير فهلا ارعوينا ذلك في أطفالنا ، فيا لروعة القرآن ويالبديع إعجازه ويالعظمة بيانه.

8. والجميل في هذه السورة القرآنية أن كلمة طفل تأتي في سورة النور، وكأن الله تعالى يريد أن يوحي إلينا بمعنى دقيق هو: أن الطفل عندما يشق طريقه إلى الحياة إنما هو لينير كهوف هذه الحياة ويعمرها بالخير والصلاح ، وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾[سورة الكهف:46].وفيه إشارة كذلك بضرورة أن نربي أطفالنا بالنور الإلهي الذي أكرمنا الله عزوجل به ونعني به الكتاب والسنة المطهرة، وما جاء فيهما من تعاليم سامية وقيم فضلى؛ كي يكون قادرا من القيام بمسؤولية الإستخلاف في هذه الأرض، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خليفة قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [سورة البقرة: 30]

ثالثا. حقوق الطفل في الإسلام :

قبل أن نتحدث عن الحقوق التي حرص الإسلام على توفيرها للطفولة كي لا تكون طفولة أبنائنا طفولة ضائعة ، وطفولة شقاء وحرمان وتعاسة؛ لنقف قليلا على واقع طفولتنا العربية التي نجدها في معاناة كبيرة ، فقد أشار العطار إلى[24]:أن واقع الطفولة في العالم العربي في غاية القسوة ، فهناك حوالي 10 ملايين طفل عربي محرومون من التعليم، وإن هناك 20 مليون طفل معاق لا يلقى سوى 25 % منهم العناية. فالطفل من حقه أن يحظى بالحب والحنان والاهتمام والاحترام والإحساس بالأمان والرعاية الصحية والحماية من العنف أو الاستغلال، ومن حقه أن يلعب ويضحك ويتعلم بلا معاناة، ومن حقه التعبير عن رأيه والحصول على معلومات، والمساهمة في الأنشطة الفنية والثقافية، وإلى الرعاية الحقة من القائمين على المؤسسات التى لها صلة بالطفولة، وإلى الأمن النفسي، وعدم الخوف من الجار والصديق، إنهم بحاجة إلى الحماية من الإهمال والنبذ.. إنهم بحاجة إلى الحماية من كل من لا يخاف الله فيهم وفي براءتهم. فكل يوم نرى الأطفال في كل أنحاء العالم يموتون من الجوع والفقر، فنرى أيتاماً ينقصهم الأمن والدفء والحنان، كما أن كثيراً منهم يعانون من ويلات الحروب ويعيشون كلاجئين، ومنهم من هو محروم من أبسط حقوقه وهو التعليم والرعاية الصحية. وفى الوقت الذي تتعدد فيه الوثائق الداعية إلى حماية الطفل وإقرار حقوقه وحرياته، وتعقد المؤتمرات والندوات الدولية لمناقشة حقوق الطفل.. تشهد الإنسانية ما لم تشهده من قبل من انتهاكات صارخة لحقوق الطفل في أماكن عديدة من عالمن العربي. وقد أشار السعدي إلى هذا الواقع المرير للطفولة بقوله [25]:ففي فلسطين نجد معاناة أطفالها من الممارسات والانتهاكات الصهيونية العدوانية الموجهة لقتل الأطفال وإصابتهم بعاهات مستديمة، وإهدار إسرائيل لكل القيم ولحقوق الإنسان والمواثيق الدولية، هو ما يحرم

(24) محمد محمود العطار (2006) حقوق الطفل في العالم العربي، شؤون عربية، العدد128.

(25) محمد سعدي (2007) انتكاسة حقوق الإنسان في الوطن العربي، المستقبل العربي، العدد 335.

أطفال فلسطين من كل الحقوق التى أرستها الشرائع السماوية والقوانين الدولية. وقد أشار العقباوي إلى[26]: أن الكثير من السوء والأذى يمارس في حق الطفل العربي ، حيث يقضي الكثير من الأطفال نهارهم في المزارع والمصانع والمحاجر في ظل ظروف عمل سيئة ، وأطفال يعملون كخدم في المنازل أو يعيشون في الشوارع.. وآخرين يباعون كالرقيق في العمل في الدعارة ،وأطفال يتم اختطافهم وسط أهاليهم للعمل بالتسول .. هذه الصور ليست لصغار يعيشون بعيداً عنا ، ولكنها صور واقعية لملايين الأطفال من وطننا العربي تُنتهك حقوقهم في كل لحظة وفي كل يوم.. ولأنهم يجهلونها.. لا يطالبون بها..ولكنها واجبة على الحكومات ومؤسسات المجتمع المدني ، لأن احترامها يعد أحد المعايير الأساسية والدولية التي تقيس مدى تقدم الدول ، ولأن المواثيق الدولية والاتفاقات الدولية الخاصة بحقوق الأطفال صادقت عليها معظم دول العالم عام**2002**. مما تقدم ندرك مليا مدى الواقع الأليم الذي يحيط بواقع الطفل العربي والطفل المسلم، ولا يجب أن ننسى أطفال العراق وما تعرضوا له نتيجة جحيم الحرب المسعورة، حيث أكثر من خمسة ملايين طفل عراقي قد تيتموا وتشردوا وتحطمت نفسياتهم، فمن لهذه الطفولة المعذبة والمضطهدة اليوم؟ وأين هي حقوق الطفل التي يزعمون؟ فهاهم يبيحون للأطفال ممارسة رغباتهم الجنسية بكل حرية تحت غطاء ما يسمى بالجنس الآمن، وفي الوقت نفسه يقتلون الطفولة ويرعبونها ويلحقون بها كافة صنوف الأذى والحرمان والقهر والخوف والقلق. فالذي نراه، مخالفا تماماً لذلك الاهتمام الكبير الذي أولاه الإسلام للطفل خاصة وللإنسان عامة فيما يتصل بالحقوق الواجبة لهما التي حفلت بها الشريعة الإسلامية من قرآن كريم وسنة نبوية شريفة قبل أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ،إنه ولاريب عصر وأد الطفولة .

والآن لنستعرض أبرز هذه الحقوق التي جاء بها الإسلام، ولنتعرف كيف قدمها للبشرية على أسس فكرية، وقواعد أخلاقية تضمن للطفولة والإنسانية أمنها وأمانها وكمالها، والتي لا تزال الطفولة بأمس الحاجة إليها، ونقسم هذه الحقوق إلى قسمين هما : أ. الحقوق العامة: ونقصد بها كافة الحقوق التي منحها الإسلام للإنسان كإنسان بأن يكون طفلا ؛ لأن النظرة في التعامل مع الطفل يجب أن تكون على أساس احترام إنسانيته، ويتساوى فيها كافة البشر من حياتهم للماتهم . ب . والحقوق الخاصة بالطفل في الإسلام : وهي الحقوق التي تخص الطفل قبل ولادته وبعدها. وسنتناول الحديث عن هذه الحقوق من خلال النقاط التالية[27]:

أولا. حقوق الإنسان في الإسلام جزء لا يتجزأ من الإسلام عقيدة وشريعة، تتجسد في: 1. تنظيم علاقة الإنسان بربه، قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[سورة الذاريات :56]، وقال تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[سورة الأنعام:153].

2. تنظيم علاقته بنفسه، قال تعالى :﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾[سورة فصلت:46]، وقال تعالى: ﴿ **كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾ [سورة الطور:21]

3. تنظيم علاقته بغيره من الناس، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيَ إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَىَ وَالْيَتَامَىَ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصّلاَةَ وَآتُواْ الزّكَاةَ ثُمّ تَوَلّيْتُمْ إِلاّ قَلِيلاً مّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مّعْرِضُونَ**﴾[سورة البقرة:83] فالآية اشتملت على الجوانب العقدية، والفقهية، والأخلاقية، والأدبية.

4. وتنظيم علاقته مع الكون بكل مافيه من سماوات ، وجبال ، وبحار ، وأنهار ، و كائنات ، وحيوانات ، ودواب ، وغيرها...على أنها علاقة تفكير ، و تسخير ، ومودة ، ورحمة ، واستمتاع وانتفاع. قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ**

---

(26) أحمد شوقي العقباوي (2004) أطفال في خطر! الهلال، عدد يوليو .

(27) رأفت فريد سويلم (2002) الإسلام وحقوق الطفل، رابطة الجامعات الإسلامية، القاهرة .

لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[سورة الجاثية:12 ،13] .

عن الشريد . رضي الله عنه . قال : سمعت رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يقول : " من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله يوم القيامة يقول : يارب إن فلانا قتلني عبثا، ولم يقتلني منفعة "[28]. وعن جابربن عبدالله . رضي الله عنه . عن النبي . صلى الله عليه وسلم . قال :" ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه صدقة، وما أكل السبع فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة ." [29].

ثانيا. حقوق الإنسان واقع عملي وممارسة سلوكية ، وليست مجرد تصور نظري، أو مثالية تخالف الواقع، أو شعارات جوفاء بعيدة عن التطبيق ، وهي متعلقة بابن آدم ، أي بجنس الإنسان في كل زمان ومكان، قال تعالى : ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** ﴾[سورة البقرة: 286] وقال تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾[سورة الحج: 78] .

ثالثا. إن حقوق الإنسان في الإسلام لها صفة الإلزام للمسلمين، لأنها من مقررات الدين، ولأنها تتضمن جزاءات دنيوية ودينية على من يخالفها. قال تعالى : ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾[سورة الزلزلة:7،8] . أما الإعلان العالمي لحقوق الإنسان فليس من شأنه حماية تلك الحقوق ، ولا يعطيها صفة الإلزام ، لأنه لا يتضمن أية جزاءات لمخالفة أحكامه، أو ضمانات لتنفيذها. [30]

رابعا. إن نظرة الإسلام إلي الإنسان وحقوقه تشمل كل البشر من غير تفرقة بين عربي وأعجمي، ولا بين أحمر وأسود ، فليس في الإسلام تمييز بين الجنس واللون والعرق، قال تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[سورة الحجرات: 13]

خامسا. إن الشريعة الإسلامية منحت الإنسان حقوقاً باعتبار إنسانيته في كل طور من أطوار حياته ، من ولادته إلى وفاته ؛ بل إننا نجد أحكاماً تتعلق بالجنين ، فحّرم الشرع الإجهاض وقدر دية محددة تجب على من تسبب في إسقاطه. وهناك حقوق للإنسان تترتب على علاقاته الاجتماعية ، مثل حقوق الوالدين والأقارب وذوي الأرحام ، وحقوق الجار والضيف. [31] قال تعالى : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا**﴾[سورة النساء:36] .

لنتأمل هذه الآية التي تسمى بالحقوق العشرة ، أو الوصايا العشرة كيف أنها تنظم حياة الإنسان مع كافة أطراف المجتمع ، وقد أشار العلامة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي في أحد اللقاءات المتلفزة بأن ابن الزنا أي الطفل الذي يأتي عن طريق غير شرعي يعد على شاكلة (ابن السبيل) الذي جاء إلى الحياة ولا ذنب له بالكيفية التي جاء بها، فالواجب التوعية والتنبيه على أهمية رعاية وحماية هذا الطفل من المخاطر التي قد تحيق به إذا تركناه ملقى في الحاويات أو على قارعة الطريق ؛ كي لا يقسو عليه الزمان وتدور به الأيام لترميه في براثن الإنحلال والفساد والرذيلة ، وكي لا يحيف عن الطريق القويم ، ولا يكون في المستقبل إنسانا منحرفا أو طفلا مستغلا من مرضى القلوب والنفوس ، أو تجار الذمم الذين لاهم لهم إلا الكسب أيا كان مصدره .

---

(28) رواه النسائي وابن حبان في صحيحه . الترغيب والترهيب 3/ 204،ومعنى عج: أي شكا إلى الله بصوت مرتفع

(29) رواه مسلم في صحيحه كتاب المساقاة – باب فضل الغرس والزرع وبرقم (1552) ..

(30) رأفت فريد سويلم (2002) الإسلام وحقوق الطفل، رابطة الجامعات الإسلامية، القاهرة

(31) مرجع سابق .

فخلاصة القول: إن حقوق الإنسان في الإسلام تتسم بالسبق والعمق والشمول الذي يظهر لكل من يمعن النظر في هذه الشريعة الإلهية السمحة ، وقد اهتم الإسلام وهو النظام الإلهي الذي ينظم حياة الإنسان بكل جوانبها ومراحلها بمرحلة الطفولة ، من خلال حرصه على حقوق الأطفال ووضع الأسس والأساليب التى تهدف إلى بناء شخصية الطفل وتكامله . ومن يدرس تعامل الشريعة الإسلامية مع الأطفال يدرك الحرص والاهتمام والعناية التي أولاها الإسلام لمرحلة الطفولة ، ويدرك أيضاً بأن الإسلام قد تضمن حقوقاً شاملة للطفل ، يقوم بها الكبار أفراداً ومؤسسات ، وذلك ابتداءً من مرحلة ما قبل ولادة الطفل، وطيلة مراحل طفولته المختلفة ، كما أولى الإسلام أهمية كبيرة للبيئة التي ينمو فيها الطفل نظراً لأهميته في مساعدة الطفل على النمو المتكامل والمتوازن لشخصيته وجسمه، مما يجعله نافعاً لنفسه وأسرته ومساهماً إيجابيًّا في حياة مجتمعه وأمته .

سادسا .يتضح اهتمام الإسلام بمرحلة الطفولة في حديث القرآن الكريم عن الأطفال الذي يفيض بالعناية والمودة والرحمة ، فالله يقسم في كتابه العزيز بالطفولة ، مما يؤكد أهميتها في نظر الإسلام ، قال تعالى: ﴿**وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ**﴾[سورة البلد:3] ،كما يعتبر القرآن الكريم الأطفال مصدر سعادة وسرور وطمأنينة لوالديهم فيقول عز وجل: ﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾ [سورة الفرقان: 74]، كما تزخر السيرة النبوية بأفعال وأقوال الرسول . صلى الله عليه وسلم . وتؤكد اهتمام الإسلام بالأطفال وحمايتهم ورعايتهم وتربيتهم، فرسول الله . صلى الله عليه وسلم . كان أنموذجاً للتعامل الحسن مع الأطفال، ومراعاة أحوالهم وطفولتهم حتى في عبادته وخشوعه بين يدي ربه،" فقد كان يصلي ومعه أمامة ابنة ابنته زينب، بنت أبي العاص، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها" [(32)]

وعن عبد الله بن شداد قال بينما رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يصلي بالناس إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد، فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر. فلما قضى صلاته قالوا: «قد أطلت يا رسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر، فقال: إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجّله حتى يقضي حاجته»[(33)]

وعن أبي هريرة أن الأقرع بن حابس أبصر النبي –صلى الله عليه وسلم– يقبّل الحسن فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم، فقال – صلى الله عليه وسلم–:«إنه من لا يرحم لا يُرحم»[(34)]، وعن أنس . رضي الله عنه . كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– «يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم، ويمسح برؤوسهم»[(35)] ، ويؤكد عليه الصلاة والسلام أن رعاية الأطفال واجبة على والديهم خاصة ، وكل أفراد المجتمع عامة، ويرغب في حبهم لأنهم قربى إلى الله تبشر برحمته وتقي من عذابه، خاصة إن كان في الأسرة طفل فيه عاهة أو إعاقة ما ،فقد حرصت الشريعة الإسلامية على ضرورة العناية بهذه الفئة من المجتمع، فعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ رَأَى سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ [(36)].ويقول تعالى:﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[سورة الروم:21].

ومن هنا يؤكد الإسلام على أهمية الأسرة في حياة الطفل، لأنها البيئة الطبيعية اللازمة لرعايته وتربيته، ففيها تبدأ عملية التربية والتعليم وهي المدرسة الأولى التي ينشأ الطفل فيها على القيم الإنسانية والأخلاقية والدينية، لذا

---

(32) أخرجه البخاري في صحيحه؛ كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، الفتح 10/ 426/، برقم 5995

(33) النسائي: كتاب صفة الصلاة، باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة (1141) ، وأحمد (16076

(34) أخرجه البخاري في صحيحه؛ كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته . الفتح 10/ 426، برقم 5997

(35) رواه النسائي وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع/ 4947 والصحيحة/1278.

(36) صحيح البخاري، كتاب الجهاد باب من استعان بالضعفاء 3/ 1061 برقم 2739.

فقد رغب الإسلام في تكوين الأسرة والتخطيط لها وتنظيمها لتكون بيئة مناسبة للطفل، تضمن له الاستقرار والطمأنينة والعيش بأمان والنمو المتوازن نفسيًا وجسديًا واجتماعيًا ووجدانيا ،وقد أوجب الإسلام على الأبوين خاصة، وكافة الأفراد والأسرة والمجتمع عامة المحافظة على الأطفال، وحمايتهم، ووقايتهم من كل آفات الحياة الجسمية والخلقية، والحرص على نظافة الأطفال وبيئتهم حماية لهم من الأمراض والأوبئة، وضمانا لسلامة نمو عقولهم وأجسادهم ليشعروا الطفل بالأمان والراحة في محيط بيئة مناسبة لضمان سلامة نموه ، ولا يجب أن نغفل عن أن الأسرة هي التي تصنع الفرد وبالتالي هي التي تصنع المجتمع، فإذا كانت الأسرة صالحة صلح المجتمع وإذا كانت فاسدة فسد المجتمع، وهي بالنسبة للمجتمع بمثابة القلب من الجسد ،ويمكن القول: بأن الإسلام قد وضع نظماً شاملة لتربية الأطفال، عمادها بناء الشخصية المتكاملة والاستقلالية الذاتية، فقد اهتم الإسلام برعاية الأطفال صحيا وهذا ما نسميه التربية الصحية، قال تعالى : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾[سورةالأعراف:31] ، ورعاية الأطفال وجدانيا أو ما يسمى بالتربية الوجدانية العاطفية، قال تعالى على لسان نبيه الكريم إبراهيم عليه السلام دعاءه المأثور لأهل بيته وذريته: ﴿ **رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ** ﴾ [سورةالفرقان:74]ودعائه كذلك لهم بصلاح العقيدة، وهو ما نسميه بالتربية العقائدية: ﴿ **وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ**﴾[سورة إبراهيم:35]ويدعو لهم بأن يكونوا مقيمين للصلاة وهي التربية العبادية: ﴿ ر َبِّ **اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي**﴾[سورة إبراهيم:40].نلاحظ بأن إبراهيم عليه السلام قد دعا لنفسه أولا ولأهل بيته ولذريته من بعده ثانيا ، لماذا؟ لأنه القدوة لهم وهم الذين سيتأسون به ، فالأدنى ينظر إلى من هو أعلى منه على أنه المثال والقدوة ، فنرى الصغير يقلد الكبير والضعيف يحاكي من هو أقوى منه، والإبن يقلد أباه، والبنت تشابه أمها ، والمتعلم يتأثر بأستاذه .

رابعا . صور اهتمام الإسلام بالطفولة: صور

اهتمام الإسلام بحقوق الأطفال وحرصه على سلامة نموهم وحسن تربيتهم كثيرة ومتعددة، ومن هذه الصور :

أولاً. حسن الإختيار للزوجة (الأم) وللزوج (الأب) : تبدأ حقوق الطفل في الإسلام مبكرا قبل زواج الوالدين عند بداية مرحلة البحث عن الشريك الآخر للحياة الزوجية، وذلك من خلال حث الأبوين على حسن اختيار كل منهما للآخر بمعايير الشريعة الإسلامية، وهي: التدين والتكافؤ وخلو الزوجين من الأمراض المعدية أو الوراثية الخطيرة، نظراً لأهمية ذلك في تحديد الكثير من خصائص الطفل الذي يجئ إلى الدنيا، وقد اكتسب من والديه الصفات الوراثية التي تحدد الكثير من خصائصه النفسية والجسمية وأخلاقهما البيئية التي سينشأ فيها الطفل والعناية التي سيحظى بها في مجالات الحياة المختلفة، مثل الحنان والأمن والصحة والتغذية والتربية والتعليم، ولذلك حرصت الشريعة الإسلامية على التوصية بحسن اختيار الأبوين لبعضهما، وألا يكون جمال المرأة أو حسبها أو ما لها عوامل أساسية في اختيار الزوجة، بل دعا الإسلام إلى اختيار الزوجة ذات الدين، والخلق الفاضل مما يضمن حسن أخلاق المرأة أو عفافها، لأن أولادها سيرثون من أخلاقها وصفاتها وسلوكها، يقول الرسول الكريم: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[37] ، وعن هشام بن عروة، عن أبيه ، *عن عائشة ، قالت :"* قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:« تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء وأنكحوا

(37) البخاري، (1958/5) ، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، حديث رقم (4802).

إليهم»[38]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم .: " إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ[39]

كما قال في الزواج من غير الأقارب القريبين لضمان حق الأطفال في صحة جسمية وعقلية جيدة: «اغربوا لا تضووا»[40]. أي تزوجوا من غير الأقارب حتى لا يهزل نسلكم، والضاوي هو نحيل الجسم وفي هذا تحذير نبوي من الإعاقات الوراثية والذهنية التي أشار إليها علماء النفس حديثا المترتبة على الزواج من القريبات، فهذا الحديث يشكل إعجازا علميا نبويا وسبقا إسلاميا للعلم الحديث. وكذلك المباعدة بين الولادات، قال تعالى: ﴿ **وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا** ﴾[سورة الأحقاف:15] مما يساعد الأم على استرداد صحتها، فتعوض ما فقدت من عناصر حيوية في الحمل الأول، مما يجعل الجنين يأخذ حقه الكامل في بطن أمه وينمو بشكل طبيعي.

ثانيا. حق الطفل في الحياة والبقاء والنمو: يبدأ حق الطفل في الحياة منذ أن يبدأ جنيناً في بطن أمه، فقد حرم الإسلام الإجهاض، إلا إذا تعرضت حياة الأم لخطر محقق، كما حرم الإسلام الإضرار بالجنين بوجه عام، وأباح لأمه الحامل الإفطار في رمضان، فقال – صلى الله عليه وسلم–: «إن الله تعالى وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة وعن الحامل أو المرضع الصوم »[41] ، وفى حال استحقاق الأم الحامل عقاباً بحد شرعي أو قصاص فقد وجه الإسلام بتأخير تنفيذ ذلك حتى تضع الأم حملها وترضع طفلها حتى يكمل مدة الفطام. ويرتبط بحق الطفل في الحياة حقه في البقاء والنمو، لأن الإسلام يريد الإنسان قويًّا صحيحاً معافى، وهذا يستوجب الرعاية الصحية والتغذية الملائمة للأم الحامل حتى تلد وتكمل الإرضاع لطفلها، ولذا فقد كلف والد الطفل بالإنفاق على أمه الحامل حتى تكمل مدة الرضاعة، يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى ﴾[سورة الطلاق:6] . فالعقل السليم في الجسم السليم. وقد نعى الله تعالى على العرب قبل الإسلام وأدهم لأطفالهم لا لشيء إلا لكونهم من الإناث ، قال تعالى :﴿**وإذا الموؤودة سئلت . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ** ﴾[سورة التكوير:9،8] .وقال تعالى:﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ{58} يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ{59}**﴾[سورة النحل] .. فلا فرق بين الذكر والأنثى في حقهما في الحياة ، والمساواة بينهما واجبة في طريقة التعامل والمنع والعطاء.

كما أناط الشرع بالأبوين مسؤولية الحفاظ على حياة الطفل ورعايته ونموه، وجعل الإسلام الطفل أمانة في أعناق الأبوين سيحاسبهما الله عليها قال تعالى :﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ** ﴾[سورة الأنعام:151]، ورعاية الأطفال وحمايتهم مما يضر بهم في دنياهم وأخراهم مسؤولية عظيمة، وهي تتطلب العناية بهم وحمايتهم مما يضر بهم، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾[سورة التحريم:6]. يقول الرسول الكريم: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالوالد راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في مال زوجها وولده

---

(38) أخرجه الحاكم في المستدرك [176/2] برقم 2687،وابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب الأكفاء.

(39) سنن الترمذي، كتاب النكاح ،باب مَا جَاءَ فِي إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ فَزَوِّجُوهُ ، ج3 ص394– 395، برقم1107

(40) أورده الغزالي في الإحياء وقال العراقي في المغني ج2 ص41: "قال ابن الصلاح: لم أجد له أصلاً معتمداً . قلت إنّما يعرف من قول عمر أنّه قال لآل السائب "قد أضويتم فانكحوا في النوابغ" رواه إبراهيم الحربي في غريب الحديث، وقال: معناه تزوجوا الغرائب قال: ويقال: أغربوا لا تضووا .

(41) أخرجه الترمذي في الصوم، باب: ما جاء في الرخصة في الإفطار للحبلى والمرضع 14 برقم 1543، والنسائي في الصيام، 715 برقم 3430

ومسؤولة عن رعايتها»[42] ، وفي الحديث: عن خيثمة قال: كنا جلوسا مع عبد الله بن عمرو إذ جاءه قهرمان له، فدخل فقال: أعطيت الرقيق قوتهم؟ قال: لا. قال: فأنطلق فأعطهم، وقال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . " كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته".[43] .ويقول: «ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها نصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة»[44] . ومن مظاهر اهتمام الإسلام بحماية حياة الطفل وبقائه ونموه، الاهتمام الذي أولاه الإسلام للرضاعة الطبيعية، لأن الرضاعة من الثدي هي التغذية المثالية للطفل الحديث الولادة، وذلك لما توفره الرضاعة الطبيعية من حنان وشعور بالأمان للطفل وهو يرضع، بالإضافة إلى العناصر الغذائية الطبيعية التي يشتمل عليها حليب الأم واحتوائه على مناعة خاصة ضد الجراثيم، مما يساعد على النمو السليم وتفادي الكثير من الأمراض. وقد دلل القرآن الكريم في أكثر من موضع على أهمية الرضاعة الطبيعية للطفل:﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ** ﴾[سورة القصص:7]، ورغب الإسلام في إكمال مدة الرضاعة حيث حدد القرآن المدة اللازمة للرضاعة بقوله تعالى: ﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ** ﴾ [سورة البقرة:233]. وقد أوصى النبي الكريم بعدم إهمال حاجات الطفل حتى لو كان المسؤول عنه مشغولاً بشيء مهم، فعن أنس بن مالك قال: إن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: «إني لأدخل في الصلاة فأريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من وجد أمه من بكائه»[45]. إن هذه الأمثلة من القرآن والسنة تؤكد اهتمام الإسلام بحق الطفل في الحياة والبقاء والنمو السليم، من خلال تكليف الإسلام ذوي الطفل والمسؤولين عنه بتوفير الحياة السعيدة الآمنة المستقرة التي تضمن عدم تعرضه للأذى، وتساعده على نمو متوازن نفسيًّا وجسميًّا واجتماعيًّا.

ثالثاً. حق الطفل في تربية حسنة : لقد حمل الإسلام الوالدين مسؤولية تربية الطفل وتعليمه وتهذيب أخلاقه وغرس القيم الدينية لديه، وتنمية قدراته العقلية والجسمية، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال . صلى الله عليه وسلم . : «أكرموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم ،» وفي رواية أخرى:"إلزموا أولادكم"[46] ويقول أيضاً: «ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن». [47]

وقد أوصى الإسلام الوالدين بالعناية بالأطفال واحترامهم، لأن ذلك يغرس فيهم نوازع كريمة، وهي دعوة للاهتمام بالأطفال، وعدم تركهم للآخرين كالمربين والخدم، مما قد ينتج عنه اهتزاز معايير الأخلاق في نفوسهم. وقد نبه على التربية الإسلامية كثير من الأئمة والمفكرين كالغزالي وابن خلدون ومسكاويه وابن سحنون وغيرهم..على أهمية تربية الطفل والعناية به في سنوات عمره الأولى، حيث أشاروا إلى أن مرحلة الطفولة هي الوقت المناسب لغرس الأخلاق الفاضلة، وتربية العواطف والعقول، وبسطوا في الحديث عن أهمية التربية في كتبهم، مستشهدين بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية الشريفة ، من ذلك قوله . صلى الله عليه وسلم .:" إنَّكم لا تَسَعُونَ النَّاسَ بأموالِكم، ولكنْ يَسَعُهُم منْكم بَسْطُ الوجْهِ وحُسْنُ الخُلُق. "[48]

---

(42) صحيح البخاري ، الأدب المفرد (94) حديث رقم 7138

(43) أخرجه مسلم ، أخرجه مسلم (107) ك الإيمان ، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم

(44) صحيح البخاري 9 / 80. كتاب الأحكام باب من استرعي رعية فلم ينصح لها

(45) صحيح البخاري كتاب الجماعة والإمامة، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي حديث رقم:675

(46) ابن ماجة: السنن، كتاب الآداب، باب بر الوالدين والإحسان إلى البنات ، حديث رقم 3671، ج 2، ص1211.

(47) رواه ابن ماجة والشهاب. انظر: ابن ماجة: السنن، كتاب الأدب، باب رقم 3، حديث رقم3671، ج2 ، ص 1211. الشهاب: المسند، رقم 665، ج1، ص389.

(48) رواه الحاكم وصححه. انظر: المستدرك، باب الترغيب من بلوغ المرام، حديث رقم428 ، ج1، ص212

كما يؤكد اهتمام الإسلام بتنمية شخصية الطفل ما رواه ابن عمر – رضي الله عنه– أنه كان في مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم، عندما سأل أصحابه فقال: «ضرب الله مثلاً للمؤمن من الشجرة التي لا يسقط ورقها، أتدرون ما هي ؟ فسكتوا، فقال الرسول: «إنها النخلة»، وكان ابن عمر مع أبيه، فلما انصرفا إلى بيتهما قال عبد الله لأبيه: لقد كنت أعرف ما قاله الرسول لكن خفت أن أقول أمام الصحابة، فقال أبوه: أما لو قلت لكان ذلك أحب إلّي من حُمر النعم»[49] ، وهذا يظهر مدى حرص عمر – رضي الله عنه – على تنمية شخصية ابنه، ورؤيته مساهماً في حوار الكبار، وصاحب رأي فيما يطرح من آراء أو ملاحظات. فما هي الحكمة في تشبيه رسول الله . صلى الله عليه وسلم . المؤمن بالنخلة؟

وإذا أمعنا النظر في هذا التشبيه النبوي فإننا سوف ندرك المعاني التالية:

أولاً: ثبات الشكل الظاهري، ثانياً: ثبات الأصل وسمو الفرع، ثالثاً: النفع الدائم، رابعاً: مقابلة السيئة بالحسنة، خامساً: دنو القطوف مع سمو الأخلاق ،سادساً: يؤكل ثمرها كل حين، سابعاً: محكومية الحركة، ثامناً: تتجدد أوراقها في العام مرة، تاسعاً: أهمية البرعم الطرفي أي أنها تموت إذا قطع برعومها وكذلك الإنسان بلا عقل ، عاشراً: معلومية التلقيح أي أنها تحتاج إلى تلقيح كحاجة الإنسان للمعرفة والتربية ، الحادي عشر: حلو الطعم عديم الرائحة، الثالث عشر: تفاوت الدرجات، الرابع عشر: النخلة لا يتساقط ورقها. [50] وهذا ما ينبغي أن يكون عليه حال المؤمن في كافة حركاته وسكناته، ومظهره ومخبره، إنسانا كاملا بأخلاقه وسلوكياته ، وإنسانا متطورا ساعيا للعلم والمعرفة، وفاعلا في أسرته ومجتمعه ووطنه وأمته .

إن اهتمام الدين الإسلامي الحنيف بمرحلة الطفولة واضح وواسع يشمل كل مجالات حقوق الأطفال ، ويوفر الرعاية التي يحتاجها الطفل لينمو بشكل متوازن جسميًّا وخلقيًّا وفكريًّا واجتماعيًّا، وغير ذلك من جوانب شخصية الإنسان المختلفة ومن محاسن حقوق الطفل في الإسلام، التي يتفوق بها على غيره من مؤسسات حقوق الإنسان الحديثة:

حق الطفل في التسمية الحسنة : فقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم– يغير الأسماء القبيحة أو التي تحمل مدلولاً رديئاً إلى أسماء حسنة وجميلة، فعندما حاول علي –رضي الله عنه– عدة مرات تسمية أحد أولاده حرباً كان – عليه الصلاة والسلام– في كل مرة يغيره بأسماء حسنة فسماهم الحسن والحسين ومحسن ، فعن علي . رضي الله تعالى عنه . قال: لمَّا وُلِدَ الحسن سمَّيته حربًا، فجاء رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : "أَرُونِي ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟" قال: قلتُ: حربًا. قال: "بَلْ هُوَ حَسَنٌ". فلمَّا وُلِدَ الحسين سمَّيته حربًا، فجاء رسول الله . أَرُونِي ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟" قال: قلتُ: حربًا. قال: "بَلْ هُوَ حُسَيْنٌ". فلما وُلِدَ الثالث سمَّيته حربًا، فجاء النبي فقال: "أَرُونِي ابْنِي، مَا سَمَّيْتُمُوهُ؟" قلتُ: حربًا. قال: "بَلْ هُوَ مُحْسِنٌ". قال: "سَمَّيْتُهُمْ بِأَسْمَاءِ وَلَدِ هَارُونَ شَبْر وَشُبَيْر وَمُشْبِر".[51]

وتعتبر التسمية بالقبيح من الأسماء من عقوق الأب لإبنه، فكما ورد عن عمر بن الخطاب أن رجلاً ذهب يشكو إليه عقوق ولده، فلما تحرى عمر، في القضية، علم أن الأب لم يحسن اختيار أمه ولم يختر له اسماً حسناً، فقد سماه جعراناً، ولم يعلمه شيئاً من كتاب الله؛ هنالك قال الفاروق للأب: لقد عققته قبل أن يعقك».[52] وفي هذا

---

(49) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الفهم في العلم 668 19، 3

(50) / برنامج موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة / www.55a.net.

(51) أحمد (769) وقال شعيب الأرناءوط: إسناده حسن رجاله ثقات رجال الشيخين غير هانئ بن هانئ. والموطأ – رواية محمد بن الحسن (660)، والحاكم (4773) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

(52) (أخرجه الحاكم) في المستدرك /كتاب معرفة الصحابة 3/ 165

دعوة للوالدين كي يحسنا اختيار الأسماء لأولادهم ذكورا و إناثا ، ذلك لأن الإسم جزء من شخصية الإنسان ويجب عدم التهاون في هذا الشأن البتة، ولنا في رسول الله أسوة حسنة.

خامسا: نماذج مشرقة في تعامل النبي . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . مع الأطفال :

كان النَّبيُّ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . شديدَ الاهتمام بالأطفال؛ فقد دعا إلى تأديبهم، وغرس الأخلاق الكريمة في نفوسهم، وحث على رحمتهم والشفقة عليهم، فقال . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ .:(من لم يرحمْ صغيرَنا، ويعرف حَقَّ كبيرِنا، فليس منا) [(53)]،ولقد كانَ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . على عظيم قدره، وعلو منزلته، هو الذي يبدأ بالسلام على الأطفال حباً لهم، ورِفقاً بهم، وتلطفاً معهم، ولإشعارهم بمكانتهم وإعطائهم الثقة بأنفسهم، وكان يمدحهم ويثني عليهم، وكان لا يكثر عتابهم ويعذرهم ويرفق بهم، وكان لا يأنف من الأكل معهم، ولو رأى منهم مخالفة للأدب، فكان ينصح لهم ويأمرهم بما يصلحهم ؛ كما نصح عمرو بن أبي سلمة بآداب الطعام بلين ورفق ورحمة، لما رأى منه مخالفة الأدب. عن عمر بن أبي سلمة قال: (كنتُ غلاماً في حجر رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله . صلى الله عليه وسلم . : يا غلام! سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك ، فما زالت تلك طعمتي بعد) [(54)]، وكان يوصيهم بالخير، ويعلمهم التوحيد والدين، فلم تكن هذه الرفقة والشفقة العظيمة عليهم تمنعه من نصحهم وإرشادهم وإصلاحهم، وكل هذا الاهتمام منه . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . بالأطفال جاء لعلمه بأنهم في أشد الحاجة إلى الرعاية والعطف والحنان أكثر من غيرهم، وذلك لتنمية ثقة الطفل بنفسه حتى ينشأ قوياً ثابت الشخصية، مَرِحَاً عَطُوفاً على غيره، وعضواً فَعَّالاً في مجتمعِهِ. [(55)]

والآن لنرى بعضا من الأساليب الحكيمة في تعامل النَّبيّ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . مع الأطفال، وكيف كان تواضعه، وحبه لهم، ورحمته بهم، وشفقته عليهم، والغرض من ذلك تحفيز القلوب، وحثها على التأسي بقدوتنا وإمامنا محمد بن عبد الله – عليه أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم–، فمن تلك النماذج المشرقة ما يلي:

1.تبريكه وتحنيكه ودعاؤه . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . للأطفال: كان . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . يؤتى بالصبيان، فيبرك عليهم، ويحنكهم، ويدعو لهم، فعن عائشة . رَضِيَ اللهُ عَنْهُا . قالت:" كان رسول الله . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . يُؤتى بالصبيان، فيبرك عليهم، ويُحنكُهم، ويدعو لهم ".[(56)]. يقول ابن حجر. رحمه الله . في الفتح: ومن فوائد هذا الحديث: الرفق بالأطفال، والصبر على ما يحدث منهم، وعدم مؤاخذتهم، لعدم تكليفهم. [(57)].

وعن أنس قال: ذهبتُ بعبد الله بن أبي طلحة الأنصاري إلى رسول الله–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ– حين ولد، ورسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ– في عباءةٍ يهنأ بعيراً له فقال: (هل معك تمر؟) فقلت: نعم. فناولته تمرات، فألقاهن في فيه فلاكهن ثم فغر فا الصبي فمجه في فيه، فجعل الصبي يتلمضه، فقال رسول الله . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . : (حُبُّ الأنصار التمر) وسمَّاه عبد الله. [(58)]

---

(53) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة، رقم (4943).

(54) أخرجه البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية، رقم: (2309)

(55) مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين من منظور التربية الإسلامية"، ص (123–124) لصالح بن سليمان المطلق. http://www.islamprophet.ws/ref/52

(56) . أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء للصبيان بالبركة ومسح رؤوسهم (155/11) رقم (6355)

(57) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (10/ 434).

(58) رواه مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله (1689/3) رقم (2114)

وعن أنس قال: غدوت إلى رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ بعبد الله بن أبي طلحة ليحنِّكه فوافيته في يده الميسم يسم إبل الصدقة. [59]

2. سلامه ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ على الأطفال

عن أنس بن مالك ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قال: أتى رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ على غِلْمانٍ يلعبون فسلَّم عليهم. [60]

لقد كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذه الأساليب يدخل السرور والفرح إلى نفوس هؤلاء الناشئة وبسلامه عليهم يدلل على وجوب التقدير للطفل في هذه المرحلة، وتعويدهم على محادثة الكبار واحترامهم ، وهذا من حكمته عليه الصلاة والسلام، ونلمح كذلك الأثر التربوي للعب وأهميته في حياة الطفل من خلال إقرار النبي للأطفال بتسليمه عليهم وهم يلعبون

3.مسحه ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ رؤوس الأطفال:

عن أنس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قال: كان رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ يزور الأنصار، ويُسلِّم على صبيانهم ويمسح على رؤوسهم. [61].

وعن عبد الله بن جعفر ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ قال: مسح رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ بيده على رأسي، قال: أظنه قال ثلاثاً، فلما مسح قال: اللهم اخلف جعفراً في ولده. [62].

وعن مصعب بن عبد الله ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : ولد عبد الله بن ثعلبة قبل الهجرة بأربع سنين، وحمل إلى رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ– فمسح وجهه، وبرك عليه عام الفتح، وتوفي رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ– وهو ابن أربع عشرة. [63]

من هذه الأحاديث ندرك كيف كان النَّبيّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ– يشعر هؤلاء الصغار بلذة الحب والعطف، والرحمة والحنان ، وذلك بالمسح على رؤوسهم الأمر الذي يشعر الطفل بوجوده، وحب الكبار له، واهتمامهم به.

وعن جابر بن سمرة قال: صليت مع رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ– صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً. قال: وأما أنا فمسح خدي قال: فوجدت ليده برداً أوريحاً كأنما أخرجها من جُؤنة عطارٍ. [64]

وعن أنس قال: انتهى إلينا رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ وأنا غلام في الغلمان، فسلم علينا، ثم أخذ بيدي فأرسلني برسالة وقعد في ظل جدار، أو قال إلى جدار حتى رجعت إليه. [65]

4. مداعبته وملاطفته ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ للأطفال:

عن أنس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قال: كان رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ يلاعب زينب بنت أم سلمة ويقول: (يا زوينب، يا زوينب) مراراً. [66].

---

(59) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب وسم الإمام إبل الصدقة بيده (429/3) رقم (1502)

(60) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب السلام على الصبيان، رقم (5202)

(61) رواه النسائي وابن حبان وصححه الألباني انظر صحيح الجامع رقم (4947)

(62) أخرجه الحاكم في المستدرك، وسكت عنه، (372/1)، وقال الذهبي: صحيح.

(63) رواه الحاكم في المستدرك (279/3)

(64) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النَّبيّ ولين مسه والتبرك بمسحه (1814/4) رقم (2329).

(65) رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم (4335).

(66) رواه الضياء المقدسي، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (2141)

وعن أبي هريرة . رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . قال: كان رسول الله . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . ليدلع لسانه للحسين بن علي فيرى الصبي حمرة لسانه، فيهش إليه، أي يسرع إليه. [67]

وروى الطبراني عن جابر – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قال: كنا مع رسول الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ– فدعينا إلى الطعام، فإذا الحسين يلعب في الطريق مع صبيان فأسرع النَّبيّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ– أمام القوم ثم بسط يده فجعل – الغلام– يفر من هاهنا وهناك، فيضاحكه رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ– حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه، والأخرى بين رأسه وأذنيه، ثم اعتنقه وقبله، ثم قال: (حسين مني وأنا منه، أحب الله من أحبه، الحسن والحسين سبطان من الأسباط). [68] ، وروى البخاري في الأدب المفرد والطبراني عن أبي هريرة . رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . قال: سمعت أُذناي هاتان وبصرت عيناي هاتان، ورسول الله . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . أخذ بيديه جميعاً، بكفي الحسن والحسين، وقدميه على قدم رسول الله . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . ورسول الله . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . يقول: (ارْقه) قال: فرقى الغلام، حتى وضع قدميه على صدر رسول الله . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ .،ثم قال رسول الله . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ .:(افتح فاك)، ثم قبَّله، ثم قال: (اللهم إني أحبه فأحبه). [69] ، وقد وقف بين يديه ذات مرة محمود بن الربيع، وهو ابن خمس سنين، فمجَّ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . في وجهه مجة من ماء من دلو يمازحه بها، فكان ذلك من البركة أنه لما كبر لم يبق في ذهنه من ذكر رؤية النَّبيّ إلا تلك المجة، فعد بها من الصحابة ، وحدث بها بقوله: عقلت مجة مجنيها رسول الله . صلى الله عليه وسلم . [70].

وعن أنس . رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . قال: كان رسول الله . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . أحسنُ الناسِ خُلقاً وكان لي أخ، يُقال له أبو عُمير وهو فَطيم كان إذا جاءنا قال: (يا أبا عُمير ما فعل النُّغير؟!) النغير: طائر كان يلعب به[71].قال الحافظ ابن حجر. رحمه الله . في الفتح: إن هذا الحديث فيه جواز الممازحة وتكرير المزاح، وأنها إباحة سنة لارُخصة، وأن ممازحة الصبي الذي لم يميز جائز وتكرير زيارة الممزوح معه، وفيه ترك التكبر والترفع، ومنه التلطف بالصديق، صغيراً كان أو كبيراً، والسؤال عن حاله[72].

أهم الإشارات والفوائد التربوية التي يمكن استخلاصها من هذا الحديث[73] :

1. على الرغم من حجم الدعوة التي يقوم بها الرَّسُول . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ .،ورغم كثرة المشاغل التي تواجهه والعبادات التي يقوم بها من عبادة وتربية وجهاد وتسيير أمور الدولة الإسلامية إلا أنه جعل له وقتاً لتربية أطفال المسلمين، وهذا الوقت المستقطع يعتبر بحد ذاته مكسباً تربوياً.

2. استخدام الرَّسُول . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . أسلوب التكنية للطفل الصغير، فقال له: ((يا أبا عُمير!))، وهذه التكنية تشعر إخوانه وأهله بأن ابنهم كأنه أصبح في مصاف الشباب، وتكنية الولد تكسر الميوعة في النداء ، وتكسبه ثقة بنفسه.

3. تمتعت الجملة التي قالها . عليه الصلاة والسلام . بصفات تربوية عظيمة، وهي:

---

(67) رواه أبو الشيخ في كتاب "أخلاق النَّبيّ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . وآدابه"، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (70)

(68) رواه البخاري في الأدب، والترمذي وابن ماجه والحاكم، وحسنه الألباني، في صحيح الجامع، رقم (3146).

(69) رواه االبخاري كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين (119/7) رقم (3749)

(70) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب متى يصح سماع الصغير، رقم (75).

(71) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل (598/10) رقم (3947) ، ومسلم كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح (1692/3) رقم (2150)

(72) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (584/10)

(73) راجع "من أساليب الرَّسُول في التربية دراسة تحليلية" لنجيب خالد العامر صـ (96) وما بعدها lamprophet.ws/ref/52

أ. الجملة كانت قصيرة من حيث عدد الكلمات؛ حيث كان عد الكلمات ست كلمات وعدد أحرفها اثني عشر، وتلك الكلمات مناسبة لسن الصغير.

ب. الجملة سهلة النطق، وخالية من الكلمات الحوشية الصعبة، فمن السهل أن ينطق الصغير بها؛(يا / أبا/ عُمير/ ما/ فعل/ النُّغير/).

ج. الجملة سهلة الاستيعاب، ومضمونها معروف؛ من الإمكان أن يستوعبها الطفل ويعرف مضمونها، والجملة سهلة الحفظ، لوجود السجع، والسجع محبب لنفس الطفل، ويستجيب له استجابة نفسية يعبر عنها بابتسامة وضحكة.

د. فواصل الجملة مناسبة لنفس الطفل؛ نلاحظ في الجملة فواصلها مناسبة للوقت الزمني الذي يردده الطفل، فالجملة تبدأ: يا أبا عمير! هذا المقدار مناسب لنفس الطفل . ما فعل النغير، هذا المقدار مناسب لنفس الطفل. بداية الجملة: نداء–سكته–استراحة–استفهام أغلقت الجملة. يا أبا عمير ما فعل النغير؟!

4. نلاحظ كيف نزل الرَّسُول . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . للمستوى العقلي للطفل (أبا عمير) وهذا مما يدخل السرور في نفس الطفل وأهله، ويعتبر ذلك سلوكاً تربوياً، ودعوياً حيث تزداد محبة أهل الطفل لرسول الله . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ .، وأيضاَ يثمر التفاعل بين الرَّسُول . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . والطفل ، ولعلَّ من أسباب الأمراض النفسية التي تصيب الشباب ولها أبعاد طفولية وذلك نتيجة لحرمانهم العطف من والديهم فيصابون بالأمراض كالإنطواء، والتوحد، والغيرة، والتبرير، وغيرها..

5. عندما يكبر (أبو عمير) ويعلم بأن رسول الله . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . قد داعبه، فإن ذلك يدعو إلى ازدياد محبته لرسول الله . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ . ، ومنها تتهيأ نفسه لتلقي الجوانب التربوية والعبادية والجهادية من رسول الله . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ .. [74]

فأساس نجاح أي معلم هو في محبة المتعلمين له وتقديرهم له ،وفي قدرته على التأثير عليهم بأخلاقه العالية، وشخصيته القوية، وعلمه الغزير، وحكمته النافعة، وحسن تعامله معهم .

الخاتمة

مما تقدم يتبين لنا مدى الحرص الكبير للتربية الإسلامية لتحقيق الطفولة الآمنة من خلال حسن الرعاية، وتلبية احتياجات الطفولة، فكلما أشعرنا الطفل بالأمان كلما عززنا لديه الثقة بوالديه وبالمجتمع والبيئة من حوله، وكانت نفسه هادئة مطمئنة، وكان فاعلا في حياته معطاء منتجا لا خاملا متكاسلا، وإن العودة إلى السيرة والسنة النبوية ليضيء للطفولة دياجير الظلمات الحالكة، ويحقق لها السعادة التي تفتقدها، ويخلصها من القسوة التي تتعرض لها، وينقذها من الهلع والرعب والخوف الذي يلفها مع أصوات القنابل والمدافع وهدير الطائرات المخيف الذي يشكل العنف الدولي، والإجرام في حق الطفل والطفولة، فالطفولة الآمنة لا يمكن أن تتحقق في ظل أجواء من القلق واللاإنسانية، وفي ظل الخلافات الزوجية والأسرية التي تحرق البيت نفسه، وهي معول هدم للطفولة الآمنة ، فكيف للطفولة أن تنشأ في ظل أجواء من التهديد والذعر أو ما يسمى بالعنف الأسري؟. من هنا علينا أن نتذكر قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [سورة الطور:21]، لنلحظ من خلال هذه الآية ملمحا تربويا هاما وخطيرا وهو: بأن الأبناء يلحقون

(74) راجع "من أساليب الرَّسُول في التربية دراسة تحليلية" لنجيب خالد العامر صـ (96) وما بعدها lamprophet.ws/ref/52

بالآباء وليس العكس، وفي هذا تكريم إلهي للآباء، وفيه بيان لعظم المسؤولية التي تقع على عاتق الآباء والأمهات في تربية أولادهم، فهم إما أن يذهبوا بأبنائهم إلى الجنة بالتربية الحسنة أو إلى النار وذلك بسوء التربية أو بعدم قيام الآباء بدورهم وواجبهم تجاه أبنائهم وبناتهم. ومن خلال ما سبق ذكره، نخلص إلى استعراض أبرز حقوق الطفل على أبويه .

تبدأ حقوق الطفل على أبويه قبل الزواج ، وتستمر مدى الحياة ، وتكون على أشدها خلال الطفولة ثم البلوغ والشباب، وهذا بيان لأهمها :

1. السعي للزواج من امرأة صالحة ذات دين .
2. السكن في بيئة ملتزمة بدينها ، لتوفير البيئة الصالحة للأولاد.
3. اتباع السنة في المعاشرة الزوجية ، والدعاء بالمأثور.
4. اتباع السنة في استقبال المولود، كأن يؤذن في أذنيه بعد ولادته، ويحنكه بنفسه ،أو يذهب به إلى عالم صالح يدعو له ويحنكه ، ويعد له العقيقة.
5. عدم تسخط البنات، واستقبال البنت بنفس الفرحة التي يستقبل بها الولد.
6. أن يتخير له اسماً حسناً، ذكراً كان أو أنثى، كما ورد في السنة المطهرة.
7. أن يختنه ذكراً كان أو أنثى ، والختن من سنن الفطرة ، ويستحب أن يكون بعيد الولادة بأيام قليلة لسهولته على الطفل.
8. أن يختار له مرضعة صالحة ، وأفضل مرضعة للطفل أمه ، لما للبنها من توافق مع الطفل ، كما أن للرضاعة من الأم أثر طيب في النمو النفسي والعاطفي للطفل.
9. أن ترعاه أمه وتحضنه ، خاصة خلال مرحلتي المهد والطفولة المبكرة ، ولا تتركه للخادمات أو المربيات مهما كن مخلصات في عملهن ، فالأم لا تعوض عند الطفل بالدنيا كلها.
10. وعلى الوالدين أن يعلما طفلهما كتاب الله عز وجل ، قبل كل شيء ، ثم ما يلزمه من العلوم في دينه ، ثم يعلمانه صنعة من علوم الدنيا.
11. أن يعلمه أبوه السباحة والرماية وركوب الخيل ، والهدف إعداده جسدياً ونفسياً للجهاد في سبيل الله.
12. ألايرزقه إلا طيباً، من الكسب الحلال.
13. أن يعلمه الصلاة ويدربه عليها في سن السابعة ، ويواظب على هذا التدريب والتعليم حتى ترسخ عنده ، ويصحبه إلى المساجد للصلاة ، وسماع الدروس ، والمواعظ من العلماء.
14. أن يدربه على الصوم منذ السابعة ، ويراعي الفصول وطول اليوم.
15. أن يدرب بناته على الحجاب منذ السابعة ، ويتبع كافة السبل التربوية من ترغيب وترهيب وتشويق وتعزيز لهذا السلوك الإسلامي عندها.
16. أن يكون الوالدان قدوة حسنة لأطفالهم داخل البيت وخارجه ، فالأطفال يتعلمون من اقتدائهم بأفعال والديهم أضعاف ما يتعلمونه من أقوالهم.
17. أن يعلماه آداب الاستئذان وسائر الآداب الاجتماعية، بالقول والعمل، والتلقين والقدوة.
18. أن يوفر له الرفقة الصالحة ، ويهيأ له رفقتهم والتفاعل معهم ، كمشاركته في المخيمات الإسلامية وغيرها.
19. أن يعده للحياة العملية ، كالدراسة وتعليمه مهنة نافعة له في دينه ودنياه ،أن يسهر على تخطيط مستقبله النافع
20. أن يعوله حتى سن الرشد، ويقدم له ما يحتاجه وأن يساعده بعد الرشد إن كان الولد فقيراً والوالد غنياً .

21. أن يعدل الوالدان بين أولادهم ، ويساوون بينهم في الحب والعطف والمعاملة المالية ، وخاصة بين الذكور والإناث ، أو أبناء الزوجات إذا كان للرجل أكثر من زوجة.

22. أن يبحثا لولدهما عن الزوجة الصالحة ذات الدين ، وأن يبحثا لابنتهما عن الزوج الصالح ذي الدين ، وينفقا على ولدهما أو بنتهما من مالهما الخاص . إذا كانا أغنياء . من أجل زواجهما وبناء الأسرة المسلمة.

23. أن يرشد الوالدان أولادهم بعد الزواج إلى سعادة الدنيا والآخرة.

24.أن يزور الوالدان أولادهم وبناتهم في بيوتهم الجديدة ، وأن لا تضعف رابطة الأبوة بعد زواج الأولاد.

أخيرا يمكن القول : بأن كلامنا هذا يبقى حبرا على ورق؛ إذا لم يتم التطبيق العملي والجاد لكل ما سبق ذكره مع الفهم والتدبر، فلننظر إلى العناية الإلهية والتكريم الرباني للإنسان والتذكير بحقوقه حتى بعد مماته، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ **فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ**﴾]سورة المائدة:31[.ونحن الآن في القرن الحادي والعشرين في عصر الحداثة والتقدم المعرفي وحقوق الأطفال والحرية إلا أننا نرى مع كل هذا زمنا تمتهن فيه الكرامة الإنسانية ولا تراعى فيه أدنى معايير القيم الأخلاقية، فترى أطفالا في الشوارع والطرقات ممزقة أجسادهم وجثثا هنا وهناك، وظلما ووحشية واستبدادا ما عرفت البشرية له نظيرا في كل تاريخها .

وقد ذكرنا الله سبحانه وتعالى بنعمة المولود والذرية في أكثر من موضع حيث يقول عز من قائل :

﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ** ﴾]سورة النحل:72[.

وقال تعالى في قصة شعيب . عليه السلام . : ﴿ **قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ** ﴾]سورة هود:91[

وقال تعالى في معرض ذكر دعاء نبيه زكريا له سبحانه: ﴿ **رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾ [سورة آل عمران:38].

وقال جل من قائل: ﴿**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ. فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾]سورة الصافات:102،101[

وقال تعالى : ﴿ **قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ** ﴾]سورة الذاريات:28[.

النتائج التربوية في ظلال هذه الآيات القرآنية :

1. إننا إذا أمعنا النظر في الآيات القرآنية آنفة الذكر ، فإننا نجد أن الله الواهب والخالق والمعطي يتحدث عن الطفل، فيذكره تارة بمسمى:(البنين والحفدة) وأنها نعمة لا ينبغي الكفر بها، والكفر بها لا يكون إلا بعقوقها، وذلك بعدم صيانتها من الآفات الداخلية والخارجية ، وبالإهمال لها، وعدم إعطاء الطفولة حقها، وبسوء التربية لها، وكذلك بالعدوان عليها، وقد اعتبر الله تعالى ذلك باطلا لا يمكن قبوله والرضى به.
2. وتارة يذكر الطفولة باسم (الرهط) ، والرهط هم الأهل والعشيرة وما فيها من أبناء وبنين قد وصلوا سن الرشد والقوة والشباب، وهذه المرحلة هي مرحلة العطاء والبذل والتضحية والإنتاج والإبداع وليس الخمول والتكاسل واللامبالاة أو كما يسميها البعض بمرحلة المراهقة تأثرا بالنظريات الغربية. وقد أشار سبحانه إلى ذلك من خلال قصة شعيب عليه السلام ، وأن الرهط بكل هذه المعاني يوفرون الأمن والأمان للأسرة و للمجتمع والأمة كلها والعكس صحيح أيضا، فالمربي يغرس ويرعى غرسه ويراقبه، ويعطيه كل اهتماماته، ويتعب عليه في البداية ليريحه عند كبره، وبغية أن يأكل من غرس يده ثمار النجاح والتفوق والإبداع والبر والطاعة والإحترام والتقدير، وهذا حال التربية التي هي أشبه بعملية الزراعة للغراس والعناية بها .

3. وتارة يتكلم سبحانه عن الطفولة باسم الذرية الطيبة، ولا تكون الذرية طيبة إلا بحسن التنشئة والتربية، وإن المؤمن ينبغي أن لا ينشد في حياته مجرد الذرية وحسب، فالإهتمام بالنوعية والجودة ينبغي أن يكون أكثر من الكم، فقليل نافع خير من كثير ضار، وقليل صالح خير من كثير فاسد، مع الأخذ بعين الإعتبار الرغبة في تكثير الصالح والنافع ، وهذا ما يسمى بالتربية البنائية أو التكوينية.
4. وتارة يتحدث الله سبحانه عن الطفل بمرحلة التمييز ،وذلك بتسميته (غلام)،والغلام هو الطفل من سن ستة إلى تسع أو عشر سنين حيث يكون فيها مميزا مدركا ، ويحسن التصرف ، لذا عبر عنه سبحانه بقوله: (حليم وعليم) وهاتان الصفتان لا تتحققان في الطفل إلا بعد التربية الخلقية، وبعد وجود البيئة الصالحة الراعية لهذا الطفل والمؤثرة فيه إيجابا لا سلبا، فقد وصل إبراهيم عليه السلام بحسن تربيته لإبنه إلى أقصى درجات الطاعة والبر، حتى وإن لزم الأمر ذبحه وتقديمه قربانا لله تعالى ، فما دام الآمر هو الله تعالى فالأب والإبن لايملكان ردا لهذا الأمر وليس عليهما إلا الإمتثال للآمر، وهذا ما ينبغي أن تكون عليه حال الأسر العربية والمسلمة اليوم

وفي هذا رسالة تربوية توجيهية للآباء والأمهات أن يكونوا حليمين على أبنائهم رفيقين بهم، وأن يكون الأبناء كذلك مع آبائهم خاصة عند كبرهم.

5. إن تقدم الأمم والشعوب لا يمكن أن يتحقق بمنأى عن رعاية الطفولة، ويجب توفير البيئة الآمنة كي تعطينا طفولة آمنة.
6. الأطفال هم ثروة المستقبل؛ بل والمستقبل كله بأيديهم وهم صانعوه، فإذا أردنا مستقبلا مشرقا علينا أن نعض بالنواجذ على التربية الإسلامية بكل أصولها ومنابعها ومشاربها ومبادئها وأسسها.
7. بناء على كل ما تقدم ذكره، يمكننا القول: بأن التربية الإسلامية هي الكفيلة بتحقيق الطفولة الآمنة، بما فيها من قيم عليا، وتعاليم سامية، وأحكام راشدة، ومفاهيم تربوية واضحة، وبكل ما فيها من تجدد ومرونة وحيوية في الأخذ والعطاء.
8. قال تعالى : ﴿ **هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا** ﴾] سورة هود:61[من خلال هذه الآية نخلص إلى القول : إن الغاية من خلق الإنسان في هذا الكون هو لأجل عمارة هذا الكون، عمارة هدى ورشاد، وعمارة قائمة على الحب والود والاستمتاع والإنتفاع ، وعمارة تقوم على الإصلاح لا الإفساد، والبناء لا الهدم ، والأمن و الأمان ، لا الخوف والحرمان، وذلك بإيجاد الطفل الصالح، أي المتحلي بالأخلاق، والملتزم بالآداب الحسنة ، وبتكوين الطفل المتعلم ،والطفل المثقف ، والطفل القوي بدنيا وجسمانيا، والطفل المطمئن روحيا و نفسانيا ، والطفل المتواصل اجتماعيا ، والطفل المنتج والمفكر والمبدع ، والمفيد لأمته ومجتمعه ووطنه.

التوصيات :

1. يوصي الباحث بضرورة التركيز على دور الإعلام الهادف في ترسيخ مفاهيم الطفل و الطفولة لدى الأسر العربية والمسلمة ولدى المجتمعات، من أجل تحسين التعامل مع الطفل، ومن أجل تغيير الطرائق المنحرفة المتبعة في تربية أطفالنا.
2. ويوصي الباحث بعقد مؤتمرات سنوية حول قضية الطفولة، لأننا أمام محاور عديدة وخطيرة، ولأن موضوع رعاية الطفولة يجب أن ينال جهودا كثيرة وكبيرة من الباحثين والمتخصصين نظرا لأهميته البالغة.
3. كما ويوصي الباحث بالمؤسسات المعنية بشؤون الأسرة للتركيز على عقد دورات توعوية تثقيفية لأولياء الأمور فيما يتعلق بتربية الطفل ومناقشة القضايا المتعلقة فيه، وذلك نحو تربية عصرية آمنة للطفولة تتواءم مع مستجدات الحياة وظروفها المختلفة.

ختاما: أرجو أن أكون قد قدمت التصور الكافي والشافي للطفولة الآمنة من خلال فلسفة التربية الإسلامية ، وحرصها على بناء الطفولة الراشدة والطفولة الناضجة في ظلال القيم الإسلامية النبيلة ، راجيا أن يحوز هذا البحث على القبول لديكم . وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم .

قائمة المراجع :

. القرآن الكريم .

. الحديث النبوي الشريف .

. ابراهيم، صبحي طه (1986)، التربية الإسلامية وأساليب تدريسها، ط2 ، عمان، دار الأرقم .

. أحمد شوقي العقباوي، أطفال في خطر! عدد يوليو ((2004الرياض، الهلال.

. أنيس، ابراهيم وزملاؤه (1972) المعجم الوسيط، ط2، استانبول، المكتبة الإسلامية .

. الأصفهاني، الراغب الحسن بن محمد(1988) كتاب التعريفات، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية .

. الألباني، محمد ناصر الدين الألباني (2004) صحيح الجامع الصغير للطبراني، المكتب الإسلامي .

. الألباني، محمد ناصر الدين الألباني (1988) صحيح سنن النسائي، المكتب الإسلامي للنشر، لبنان .

. الباني، عبد الرحمن ، (1983) مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام، بيروت، المكتب الإسلامي.

. البخاري، محمد بن اسماعيل (د.ت) صحيح البخاري (مجموعة أجزاء)، بيروت، المكتبة الثقافية .

. برنامج موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة / www.55a.net.

. التبريزي، محمد بن عبدالله (1979) مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الألباني، الجزء الثالث ، ط2، بيروت المكتب الإسلامي .

. الترمذي، محمد بن عيسى (2002) سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، بيروت ، دار ابن حزم.

. الحاكم ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ الكبيرالنيسابوري(2007) المستدرك على الصحيحين ، دار الكتب العلمية، بيروت.

. ابن حبان، محمد أبو حاتم (1993) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، ط2، بيروت ، مؤسسة الرسالة .

. الحمدان، وفاء، صقر، وسميرة (1995) مذكرة طرق التدريس، منشورات كلية التربية بجدة، قسم الدراسات الإسلامية .

. ابن حنبل، أحمد (1983) المسند، (مجموعة أجزاء)، ط4، بيروت، المكتب الإسلامي.

. الخوالدة، ناصر (2001) طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليبها وتطبيقاتها العملية، دار حنين للنشر، عمان .

. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (د.ت) سنن أبي داود، بيروت، دار الكتب العلمية .

. رأفت، فريد سويلم (2002) الإسلام وحقوق الطفل، القاهرة، رابطة الجامعات الإسلامية.

. الزمخشري ،جار الله محمود (1960) أساس البلاغة، تحقيق عبدالرحيم محمود، بيروت، دار المعرفة .

. سعدي ، محمد (2007) انتكاسة حقوق الإنسان في الوطن العربي، المستقبل العربي، العدد 335.

. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (1981) الجامع الصغير في أحاديث البشير(مجلدان)، بيروت ، دار الفكر

. ابن سعد ، محمد بن سعد (1980) ، الطبقات الكبرى ، بيروت ، دار بيروت .

. العامر ، نجيب خالد ، من أساليب الرَّسُول في التربية دراسة تحليلية،slamprophet.ws/ref/52

. أبو العباس ، أحمد بن علي بن أحمد بن عبدالله القلقشندي المتوفى (821هـ) ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.

. عبد الباقي، محمد فؤاد (1945) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، القاهرة ، دار الكتب المصرية .

. العطار، محمد محمود (2006) حقوق الطفل في العالم العربي، شؤون عربية، العدد128.

. الغزالي، محمد بن حامد(2005) إحياء علوم الدين (أربعة أجزاء)، ط4، بيروت ، دار الكتب العلمية .

. ابن عدي ، أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (2005) الكامل في ضعفاء الرجال، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.
. العسقلاني، ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري (د. ت) (1984) : تحقيق فؤاد عبد الباري ومحب الدين الخطيب، الرياض ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .
. الفيروزأبادي، مجد الدين (1952)، القاموس المحيط،ط2، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
. ابن ماجه ، محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (د. ت) ، سنن ابن ماجه ، ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت، دار الفكر .
. مسلم ، الحجاج بن مسلم (د. ت) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي (مجموعة أجزاء) بيروت ، مؤسسة مناهل العرفان .
. المطلق، صالح سليمان، مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين من منظور التربية الإسلامية، http://www.islamprophet.ws/ref/52
. المنذري، عبد العظيم (1968) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف (أربعة أجزاء) بيروت ، دار إحياء التراث العربي.
. ابن منظور، جمال الدين محمد بن منظور (1997) لسان العرب، ط6، بيروت، دار صادر.
. النسائي ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (1411هـ) سنن النسائي الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1.
. هندي، صالح ذياب(2009) طرائق تدريس التربية الإسلامية، ط1،عمان، دار الفكر.
. يالجن، مقداد (1986) جوانب التربية الإسلامية الأساسية، بيروت، دار الريحاني.